السيميائيات العامة

بين السيميولوجيا والسيميوطيقا



أ . محمد الكرافس





السيميائيات العامة بين السيميولوجيا والسيميوطيقا
أ . محمد الكرافس



✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————

المقدمة:

يسعى هذا الكتاب إلى تقديم لمحة نظرية موجزة عن المجال السيميائي بمختلف اتجاهاته وتياراته، حيث نطمح عبر محاوره إلى لملمة شتات الاتجاهات السيميائية سواء تلك الناهلة من المدرسة السيميولوجية الأوربية، أو الأخرى المعتمدة على الموروث السيميوطيقي البورسي بأمريكا، لاسيما وأن حظ النص الأدبي من النقد لازال متواترا في صحائف الدارسين والنقاد الذين حاولوا خلق طقوس قرائية معينة تروم كشف تلابيب الخفي من المعنى داخله، متوسلين في ذلك بحزمة من الآليات التحليلية والمناهج النقدية المختلفة، وملتمسين، على هذا الأساس، باب "العلمنة" والاعتماد على دربة المعارف والتجارب البحثية المتواصلة التي ينظرون من خلالها إلى كوة مشرعة على مناحي النص وبواطنه.

فلكل ناقد "علم خاص تأثر به وكون معارفه وتجربته حيث يحاول تقديمها مستعملا كل التقنيات الحديثة لإيصال أفكاره عبر تجارب بحثية متواصلة، تكون منهجية الطرح المتلازم مع الفردية الأسلوبية والمعززة بحداثة العصر والحاملة للمكنون الثقافي الذي يفرز تميزه وخصوصيته لتضاف إلى التجارب البشرية العالمية"[1]، و هذه التفاعلات إنما هي بوتقة مرافقة/لاحقة تنصهر داخلها عروة العناية بالنص بعيدا عن أنواع أخرى من "النقود" التي قد تلبس عباءة "البروفة" النظرية في مواجهة النص .

1- حكيم عاقل، الخصوصية والعالمية في الفن، كتاب جماعي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2002، ط 1، ص 80.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧✧

إن هـذا الـكتـاب يناقش جانبـا مـن القـضايا الـتي أثارتها الـسيميائيات كنظريـة ذات اتجاهـات متفرعـة، تقـدم نفـسها بـديلا عـن النقـد التـأملي والتـاريخي والتحليلـي-النفـسي، وهـو تحديـدا الاخـتلاف الـذي بـشرت بـه التيـارات البنيويـة والتفكيكيـة والـسيميائية خـلال مرحلـة معينـة مـن القـرن العشرين، مـن حيـث أنهـا منـاهج نقديـة "نـصانية" ومحايثة تقـارب الخطابـات الإنسانية عامـة، والنـصوص الأدبيـة علـى اختلاف أشـكالها النـصية (شـعر، قـصة مـسرح، روايـة.... الخ)، ووسـائطها الإشـارية، بـشكل نـسقي بنيـوي يستمد عدته "اللوجيستية" من تنظيرات باحثين ونقاد أوربيين وأمريكيين.

إن الفرضـية الإشـكالية الـتي تغـذي مـضامين هـذا الـكتـاب تـروم بالأسـاس الوقـوف علـى الحـدود الفاصـلة بـين التيـارات الـسيميائية مـن خـلال بسطها في أصلها الغربي، وكذا تقـديم صـورة متوضـحة عنهـا للقـارئ العربـي الذي لابد أن يفطن إلى "غربية" المناهج النقدية المستوردة مـن جهـة، ومـن جهـة أخرى لابد أن يعي الإشكالات الحضارية والفلسفية التي تغذيها مـن حيـث أن هـذه الاتجاهـات الـتي تـداخلت في سـرة الـنصوص عبر بوابـة المثاقفـة والترجمـة والتعريب والتلاقح الفكري وبمـا تيـسره مـن عتـاد نقـدي، قـد تفطـن وقـد لا تفطـن إلى الخـصوصيات الداخليـة والآفـاق غـير المكبلـة الـتي يتملكهـا ينبـوع الـنص العربـي الـذي يبقـى بـدوره ذا خـصوصية ثقافيـة مغـايرة للاتجاهـات السيميائية التي ولدت في بيئة غربية الأصل.

وحتـى نحـصر موضـوع هـذا الـكتـاب فقـد قـسمناه إلى ثلاثـة محـاور، حيـث سـنعمل في المحـور الأول علـى تحديـد العلاقـة المتجـذرة في الوجـود الإنـساني بـين الـذات البـشرية والعلامـة مـن خـلال رصـد الإرهاصـات الأولى

لتشكل العلامة في تاريخ الثقافة والفكري العالميين. كما سنخصص المحور الثاني من هذا الكتاب لتقديم فرش نظري خالص حول الاتجاهات السيميائية الناهلة من المرجعية السيميولوجية الأوربية منذ بدايات دوسوسير ومرورا بسيميولوجيا التواصل والثقافة والصورة والمسرح والسينما والدلالة والأهواء. لنخصص المحور الثالث لتقديم بسط نظري حول التيار السيميوطيقي الأمريكي من خلال تقديم نظرية شارل سندرس بورس وبسطها مع تناول شذرات من ذرائعية تلميذه شارل موريس والإضافات التي طعم بها الاتجاه السيميوطيقي البورسي.

لذلك نتمنى أن يكون هذا الكتاب، إضافة نوعية تثري خزانة البحث السيميائي العربي، وتسهم في بسط المكونات النظرية والمعرفية لمجال السيميائيات، الذي لا يزال القارئ العربي يجد بعض الصعوبات في الاقتراب منه، مثلما أننا نراهن فيه على تجميع الاتجاهات السيميائية في هذا الكتاب، مفضلين مساعدة القارئ العربي على تشكيل صورة موجزة عنها، وإزالة كل لبس حول الخلط الذي يقع لدى الطلاب وبعض الباحثين في وضع الحدود الفاصلة بين التيارات السيميائية، لاسيما عند تعريبها وترجمتها إلى اللغة العربية.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————————

1)- تجذر العلامة في التراث الثقافي العالمي:

1-1)- تمهيد أولي:

لقد انطلق الإنسان منذ العصر اليوناني- الهيليني نحو استكناه آفاق المعنى والسعي إلى حصرها ،حيث سلك الفلاسفة والمفكرون الأوائل على اختلاف مشاربهم الثقافية وانتماءاتهم المذهبية مسارات ابستيمية تروم محاورة عناصر الوجود التي يتماس فيها الإنسان مع ذاته ومع الآخر ومع قوى الطبيعية ومع اللغة ومع الفكر. ولذلك جاءت الاتجاهات الفلسفية الإغريقية مثلا سواء مع أفلاطون أو أرسطو أو المدرسة الرواقية ممثلة في الفيلسوف زينون وبداية العصر الروماني فيما بعد؛ جاءت هذه المدارس لتؤثث فضاء الانشغال الابستيمي بتفسير علاقة الإنسان بالوجود وبالعالم بما هو محتضن للإنسان ولبؤرة التعايش مع الظواهر المختلفة التي "تؤنسن" وحدة هذا الكائن البشري وتثري طقوسه اليومية. فاللغة وحدها أحدثت شرخا عميقا في التفسير الفلسفي لعلاقة الإنسان بالوجود،خاصة أن هذه اللغة بقيت مستمرة في نسج خيوط هامة بين الإنسان والمجتمع وبين الإنسان والعقل، على اعتبار أن هذا الأخير وبتعبير ديكارت هو محتضن الفكر، وهذا الفكر بدوره عبارة عن مجموعة من الرموز التي يخزنها الإنسان كطاقة خامة لا تتمظهر إلا لاحقا في شكل "مرمّز" يحتاج إلى "سميأة" معينة لتفكيكه وإخضاعه إلى منظار التأويل الدلالي.

لقد اعتبرت العلامة وحدة نسقية خصبة تحبل بها حياة الإنسان منذ العصور القديمة، فهي بمثابة بؤرة "أكسيومية" للسيطرة على العالم وعلى إحداثياته اللامتناهية على الأقل في مجال المعنى، والطريقة المثلى لفعل ذلك طبعا هي ترميز

✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————————

هذا العالم وعناصره التي حُبكت حبكا، وحتما توجد فيما بينها علاقة خفية هي علاقة انبناء الدلالة والتموضع في فضاء معين، على اعتبار أن كل شيء/ عنصر ماديا كان أم معنويا يمارس دورا معينا سواء في "الفيزيقا" أو في بنية العقل الخفية، والتي لا تظهر إلا في شكل فينومينولوجي مؤول هو شكل الخروج من" الأولاني" بتعبير بورس والتمظهر والتجسد. ولأجل ذلك ظهرت عبر العصور عدة نظريات سعت إلى الإحاطة بمفهوم العلامة وإيجاد نسق علمي/ منهج متماسك يسبر أغوارها و"يعقل" انفلاتها وزئبقيتها، ليبرز علم السيميائيات لاحقا مع نهاية القرن التاسع عشر (19) وبداية القرن العشرين (20) بشكل مبدئي ونتيجة لتراكمات تاريخية صبت فيها مجموعة من الروافد الفكرية والعلمية والفلسفية ذات الانتماءات الثقافية والمشارب المختلفة.

والسيميائيات سواء اعتبرناها منهجا علميا أو نظرية فكرية، ترجع بدايتها إلى اتجاهين مختلفين أسسا هذا العلم في وقت متزامن ودون معرفة أحدهما بالآخر، ومن الطبيعي بحكم هذا الاختلاف في التصور والمنشأ أن تكون هناك اختلافات جوهرية في التسمية وفي الخلفية الإيديولوجية التي تغذي كل توجه لساني أو فكري أو نقدي.

فقد قام العالم السويسري فرديناند دوسوسير في بداية القرن العشرين وفي كتابه "دروس في اللسانيات العامة" الذي أصدره تلامذته فيما بعد بالحديث عن العلم الجديد الذي سماه السيميولوجيا والذي بشر بأنه سيكون جزءا من العلم النفساوي العام، بحيث تصير اللسانيات بدورها جزءا منه، وهو العلم الذي يدرس حياة العلامات والدلائل.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————————

وفي نفس الوقت الذي كان فيه دو سوسير في الغرب الأوربي يؤسس لنهج علمي جديد يقارب ما سبقت الإشارة إليه من علامات لسانية، كان الفيلسوف الأمريكي بورس في أمريكا يؤسس بدوره لعلم يقارب حياة العلامات من منطلقات أخرى والذي سيسميه "السيميوطيقا"، وهو علم ينطلق من جوهر منطقي رياضي وفلسفي ويتأسس على أرضية أيديولوجية وفكرية تقوي عضده بمتون الفلسفة ونقد الفكر الديكارتي والانتعاش من الفكر الكانطي الذي سيؤسس عليه محاور نظريته الأساس.

من هذا المنطلق الذي أشرنا إليه، ظهرت السيميائيات والتي اختير لها هذا الاسم العربي على الأقل للخروج من المتاهة الايتيمولوجية التي تتصارع بين "السيميوطيقا" و"السيميولوجيا" ،من خلال الرجوع إلى التراث العربي الإسلامي وإلى القواميس والمعاجم التي تحبل بعديد المفاهيم والاصطلاحات المتضمنة لكلمات ومفردات تشبه الحروف الأصلية "سوم" و"سيمياء"[(1)].

و لذلك سنحاول في هذا المحور بسط أسس المنهج السيميائي في نسقه العام وفي شموليته، محاولين قبل استعراض أهم الاتجاهات والمدارس السيميائية المختلفة العودة إلى الجذور الفلسفية القديمة في التراثين الإغريقي/ الهيليني والمسيحي، ثم فيما بعد إلى التراث العربي قبل أن نستعرض مختلف الأسس التي قامت عليها السيميائيات المعاصرة وأهم الاتجاهات التي ميزتها.

1- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف (الجزائر/ (بيروت) ط 1، 1431هـ/ 2010م، ص 30. 1

✧✧✧✧✧✧✧✧✧

1- 2)- الإرهاصات الأولى للسيميائيات في الغرب منذ العصر اليوناني إلى القرن 19:

يعتبر أغلب الدارسين أن ظهور "السيميائيات" - بما هي نمط للتفكير الخالص في العلامة وماهية التدلال- قديم قدم الإنسان، بحيث ترجع إلى اللحظات الأولى لوعيه بالوجود وممارسته لهذا الفعل بشكل جعل الإنسان يصطدم بالدلالات الأولى للصرخات والأصوات المحيطة بالكائن البشري. هذا الرأي طبعا ينتقده الباحث الجزائري فيصل الأحمر في كتابه "معجم السيميائيات" من منطلق ديني على اعتبار أن الله تعالى زود الإنسان بالعدة اللازمة لممارسة فعل الوجود داخل العالم، وهذا موضوع آخر لا يتسع المجال للخوض فيه هنا. المهم أن التفكير والاهتمام بالعلامة يرجع إلى التاريخ القديم ونجد له إرهاصات ضمنية/ Implicite في عديد النظريات الفلسفية القديمة خاصة أن لفظة Sémion اليونانية تقابل في تحديدها الاصطلاحي معنى "السمة".

وعلى المستوى الغربي الذي يعتبر الوريث الشرعي للفكر اليوناني-الهيليني القديم نجد " أن الباحث في تاريخ السيميائيات لن يعثر على ملامح واضحة لهذا العلم، بل سيعثر على شذرات متفرقة تدل على أن الإنسان قد تأمل في العلامة منذ بدأ التأمل والتفكير فيما حوله ... فمن البداية كان المنطلق فلسفيا قائما على مبدأ الشك، وأول من بدأ التأمل في العلامة هم الإغريق في المدرسة المسماة بالشكية *Skepticism* "[1].

---

1 - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 21.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧ ———————————

أما بخصوص التفكير الأرسطي فنلمس إرهاصات جلية للتفكير العلامي حيث "يمكن الوقوف على أهمية ذلك التمييز الذي وضعه أرسطو بين العلامة اللسانية التي تفتقر في نظره إلى القدرة على الاستدلال؛ ولهذا لا حضور لها في القياس... فهي تقف عاجزة أمام ما تحيل عليه" [1].

ودائما في إطار التراث الإغريقي اعتبر مجموعة من الباحثين وعلى رأسهم العراقية **فريال غزول،** أن الارتباط وثيق بين المدرسة الشكية والمنطلق الابستيمي لديها والمجسد في التشكيك في المعرفة ذاتها وفيما تقدمه لنا ظاهراتيا، هذا من جهة أما من جهة أخرى فقد كان هذا التفكير أوليا ونمطيا ولكنه كان إشكاليا وأدى إلى نقل التفكير العلاماتي من مجال الكليات إلى مجال المحيط الخاص بالإنسان، حيث أن الفيلسوف **إينيديموس** قد اعتبر أن العلامات مضمرة وغير متجلية وغير متاحة للكل إلا بواسطة عدة مجهرية تستنبط مكنوناتها وتفسر دلالاتها. فالمدرسة الشكية بهذا التفكير في ضمنية العلامة، قد فسحت الطريق وعبدته أمام انشغالات عديد من الفلاسفة اللاحقين الذين سعوا بدورهم إلى بلورة تصور حول الحياة داخل عالم من العلامات، وداخل نسق متشابك من الرموز .

هذا التفكير بقي رهين أسئلة إشكالية تتبلور داخل أنساق معرفية غير خالصة؛ بمعنى أن الإغريق وهم يقاربون العلامة لم يفعلوا ذلك داخل نظرية سيميائية متكاملة وخارج نسق الفلسفة، وإنما هو تفكير جزئي ضمن الانشغال "الكلياني" بالمعرفة كما يذهب إلى ذلك أرسطو. وللبرهنة على هذا الكلام نجد أن مفكري الاتجاه الامبريقي المهتم أصلا بمجال العلوم الطبية المعترضة على "طيش" الميتافيزيقا

1- أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة، المركز الثقافي العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005، ص 20 .

إلى الاهتمام بمجال الطب، قد أشاروا، هم الآخرون، إلى العلامة، حيث اهتمت هذه المدرسة "بدراسة الطب بفرعه الامبريقي الذي يعتمد على اكتساب المعرفة عبر التجربة، وقد قام الطبيب الفيلسوف **سيكتوس أمبريكوس** Sextus Empricus (ق2م) بتصنيف العلامات المستترة كما قام الطبيب **جالينوس** Galenus (ق3م) بالتمييز بين العلامات العامة، التي تدل على أكثر من شيء والعلامات التي تدل على شيء محدد "[1].

إذن الأصول الأولية للتفكير في العلامة ليست وليدة القرن العشرين كما قد يتصور البعض، ولكنها متجذرة في التراث العالمي من حيث التفكير أصلا في ماهية المعرفة والعلاقة الترميزية التي تربط الإنسان بباقي انساق العلامات، وهذا التطور نلمسه كذلك في الانعطافات الابستيمية التي قامت بها المدرسة الرواقية Stoiciens على مستوى التفكير بجدية في ثنائية العلامة إذ اعتبروا " أن لها جانبين: دال ومدلول؛ ليست العلامة اللغوية فحسب، بل وكما يوضح إيكو ... كل أنواع السيميائيات، أي ليست العلامة اللغوية فقط، وإنما العلامة المنتشرة في شتى مناحي الحياة الاجتماعية "[2].

و إذا كنا نرجع بهذه الطريقة إلى الماضي، فإنما ننشد ربط الماضي بالحاضر ومحاولة إخراج النظرية السيميائية من "أحيازها" الضيقة التي يحاول البعض لصقها لصقا بالمدرستين الأوروبية والأمريكية فقط وقطع الصلة بالماضي، والحال أن التفكير العلاماتي بما هو لازمة للتفكير الإنساني برمته قد تبلور فعلا في الدرس الفلسفي و"الامبريقي" والنقدي القديم، كما قدمنا لذلك سلفا وكما

1- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 22 .
2- المرجع نفسه، ص 23 .

سنحاول تقديمه لاحقا من حيث الإثراء النوعي الذي قدمته مجموعة من النظريات ذات الخلفيات الفكرية والأرضيات والمنطلقات العلمية المختلفة، والتي ساهمت بشكل غير مباشر –لكنه حاسم- في تأسيس السيميائيات سواء كعلم قائم الذات أو كمنهج علمي سيعمل مجموعة من الباحثين والدارسين والأكاديميين لاحقا على إخضاع النصوص إلى مشرحته النقدية.

لقد تبلورت السيميائيات عن طريق تراكم إنساني بعيد النوى يعود إلى التاريخ القديم ،حيث حاول القدامى تفسير مجموعة من الظواهر التي صادفتهم والتي عجزت "الأراجيز" والأساطير عن فك طلاسمها بشكل صريح، أو أن العلم الذي تسلحوا به من خلال عُدّة التنجيم والسحر والماورائيات لم يعد كافيا لإيجاد الأجوبة الكافية لما حملوه من هم الأسئلة الحارقة ومن عنفوان الإشكالات الصاعدة[1]. ويذهب **فيصل الأحمر** إلى أن الرواقيين ومن خلال زعيمهم **زينون،** وبعد قدومهم إلى بلاد اليونان من بلادهم الأصلية كنعان في هجرة معروفة في بطون كتب الفلسفة والتاريخ، قد انشغلوا بالاختلاف الجوهري في اللهجات التي حملوها معهم، وانتبهوا إلى اختلاف الأصوات وتشابه الطاقة المخزنة[2]. هذه الإرهاصات الجنينية هي حتما ما سنلمسه لاحقا في التصور **السوسيري** المميز بين الدال والمدلول والمنتصر للمقاربة التزامنية "السانكرونية" على حساب المدارسة التعاقبية "الدياكرونية" للغة، وبعيدا عن أي تنميط لها بشكل وصفي لا يغوص في أعماق التسنينات اللفظية والنسقية التي تقدمها كبنية وكنظام.

---

1 - محمد الكرافس، السيميائيات: قراءة في الإرهاصات الأولى والامتداد المعاصر، مجلة البيان، الكويت، عدد 529، أغسطس 2014، ص: 14.

2- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 23.

ولاحقا وعند أفول نجم المدرسة اليونانية على الأقل بعد ظهور الثقافة المسيحية الرومانية والامتداد الذي عرفته المسيحية مكتسحة البقع التي كان يسيطر فيها الفكر **الهيليني** بما فيها مصر القديمة وشمال إفريقيا، سيظهر المفكر المسيحي أوغسطين الذي استوطن الجزائر القديمة خلال القرن الخامس الميلادي وهو بالمناسبة القرن الذي تم خلاله الإجهاز على إرث الثقافة اليونانية (المدرسة المشائية مثلا) وتشريد أتباعها ومطاردتهم على اعتبار انتمائهم إلى ثقافة "وثنية" تدجن الكائن البشري وتحنط قدراته.

ضمن هذا النسق الثقافي الخاص، نجد أن التفكير في العلامة ليس وليد اليوم " حتى وإن كانت قد اختلطت خلال زمن طويل مع التفكير حول اللسان، بسبب أهمية العلامات الكلامية في التواصل الإنساني. وهكذا فإنه توجد نظرية علاماتية ضمنية في التأملات اللسانية التقليدية، في الصين كما في الهند وفي اليونان أو في روما. وسيكون من العبث إذن أن نرغب في البحث عن الأصل التاريخي للعلاماتية عند مؤلف بعينه، حتى وإن كنا تقليديا نعزو هذا الشرف إلى **أوغسطين**، وخاصة بالنسبة إلى تمييزه بين وظيفة العلامات عند الحيوانات وعند البشر "[1].

ويمضي التطور التاريخي عبر العصور الوسطى إلى عصر النهضة الذي اتسم بدوره بإرهاصات قوية في مجالات فكرية قاربت العلامة من منطلقاتها الابستيمية الخاصة، حيث برز " الفيلسوف الألماني **ليبنتز** الذي وضع تصورات (سيميائية) ناضجة تشمل المقتضيات الأخلاقية والوجودية والابستيمولوجية والذي رسم في كتابه "فن التركيب" ... مشروعا ضخما لتأسيس المنطق الرمزي الحديث، وهذا

1- منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2004، ص 14.

الأمر جعله مقتنعا بوجود لغة كونية (رياضياتية)... تتشكل من عدد قليل من العلامات "[1]. من هذا المنطلق فإن أية مقاربة للجذور الفكرية والدلالات العميقة للسيميائيات تستمر بحضور التفكير العلاماتي ضمن الانشغالات الفلسفية والعلمية القديمة، حيث نجد أن حلقة هذا الانشغال تستمر إلى الفيلسوف الإنجليزي **جون لوك** " لكي نرى انبثاق اسم (العلاماتية) نفسه، محددا بوصفه « معرفة بالعلامات» ومتضمنا في الوقت نفسه للأفكار الذهنية وعلامات التواصل البين إنساني (دراسة فلسفية تتعلق بالتفاهم الإنساني)... وذلك لأنه لا يعفينا من التمييز بين الحالات القصدية (الأفكار) والتجليات الحساسة لهذه الحالات (العلامات بالمعنى الأوغستي للمصطلح) "[2].

كخلاصة لهذا المحور، نعتبر العودة الدياكرونية -بتعبير سوسير- في تاريخ السيميائيات خطوة أساسية في إطار البحث في الخيوط الأولى التي ساهمت في تشكلها، وبالتالي المساعدة الجوهرية في التأصيل للمنابع الفكرية التي ساهمت في تبلورها وفي إيجاد الأرضية التي تستند عليها. الشيء نفسه نلمسه في التراث العربي الذي احتضن بدوره تفكيرا جنينيا في مفهوم العلامة بلوره بلاغيون وفلاسفة وعلماء لغة.

---

1 - عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب، منشورات مشروع البحث النقدي ونظرية الترجمة، فاس، المغرب، 2005، ص 26 .

2- عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب، ص 15 .

✧✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————————

1-3)- التفكير "العلاماتي" في التراث العربي:

يحاول كثير من الدارسين العرب المعاصرون الذين ينشطون في مجال السيميائيات اليوم إيجاد إرهاصات قديمة في التراث العربي اشتغلت من قريب أو بعيد على ملامسة مفهوم العلامة بما هي مكون من مكونات الدرس البلاغي القديم أحيانا، وبما هي حيز لتشغيل نواميس الفكر الفلسفي أحيانا أخرى، رغم الاختلافات الجوهرية والجذرية التي نظرت إلى " السيمياء" سواء على المستوى اللغوي المحض أم على المستوى الاصطلاحي والذي نسوق من خلاله مجموعة من التصورات التي تقدم لنا بعض هذا الذي يسميه أصحابه تفكيرا أوليا في العلامة، من أمثال الناقد المغربي عبد الواحد المرابط والباحثين السيميائيين الجزائريين فيصل الأحمر ورشيد بنمالك وغيرهم.

على هذا الأساس و" فيما بتعلق بالتعريف المعجمي لمصطلح "سيمياء" والذي وجدنا أنه يعني علامة مما يجعلنا نرى أنه هناك تقاربا في المفاهيم والمصطلحات بين العرب والأمم الأخرى، وقد يكون هذا المصطلح قد انتقل إلينا من اللغة اليونانية، وأخضع لقوانين لغتنا، كما قد يكون العكس، ذلك أن "سيمياء" العربية تشبه semiotic الغربية، إذ يشتركان في ثلاثة حروف"[1]، هي (س ي م). الأمر نفسه نجده يتكرر في الإطار الفلسفي والعلمي إذا ما استحضرنا كلام الفيلسوف ابن سينا الذي يقول: " علم السيميا علم يقصد به كيفية تمزيج القوى التي في جواهر العالم الأرضي ليحدث عنها قوة يصدر عنها فعل غريب، وهو أيضا

1- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 30.

أنواع"[1]، وهو هنا يقصد شيئا غير العلامة بمفهومها المعاصر، لكن الشاهد أنه استعمل لفظة "السيميا" القريبة من "السيمياء" نطقا والمختلفة عنها دلالة.

وحتى يكون عملنا متماسكا، فإن رجوعنا إلى الأصول التاريخية هنا إنما نقصد من ورائه بالأساس، الوقوف على الجذور النظرية العامة التي يعتريها نوع من الشتات، ورغم ذلك فإننا لا نهتم بتجميع هذه المعلومات بشكل غير متجانس بقدر ما نسعى إلى رصد ترابط التراث العربي مع السيميائيات والعلامة، وهو الترابط الذي لم يتم وبشهادة السيميائيين أنفسهم " إلا في إطار ما هو خارج عن المألوف، أما مفهومه الذي يعرف به اليوم، فإننا لا نجده إلا عبر إشارات من بعض بلاغيينا وفلاسفتنا، ضمن أبحاثهم المختلفة وذلك في شذرات متفرقة هنا وهناك"[2]، حيث الاشتغال بالعلامة لم يكن بشكل تصريحي بقدر ما كان ضمن خطاب بلاغي وفلسفي مؤطر بخلفية فكري أو نحوية أو شارحة.

فمن خلال الكلام السابق، يظهر لنا أن العرب ورغم تفكيرهم في العلامة، فإن ذلك لم يتم بشكل متكامل ومتماسك، بحيث استطاع في وقت ما أن يفرز لنا نظرية أو ما شابهها، لأن السيميائيات علم غربي بامتياز حاول بعض الدارسين التحجج بوجود جذور عربية لهذا العلم، سعيا إلى التنصل من بعض الخصوصيات المنهجية الغربية التي يصادفونها أثناء تطبيقهم للمنهج على النص العربي، وهذا ما سنترك الخوض فيه، مادام همنا بالأساس بسط التيارات السيميائية المختلفة، واستقراء الحواجز الابستيمولوجية بينها في ظل وجود زخم من التراكمات المعرفية والإيديولوجية التي تجرها وراءها، والتي تكتسي صبغة

---

1 - قولة لرشيد بنمالك وردت في كتاب فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 31.

2- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 32.

◇◇◇◇◇◇◇◇◇ ———————————

خاصـة، وهـو مـا يجعلنـا نقارنهـا بالعبـارات المسكوكـة الـتي تحمـل دلالات ثقافيـة ولسانية وسوسيو-اقتصادية في بيئتها الأصلية، بشكل تصير معه الترجمة مستعصية إن لم نقل خاضعة لتحوير يلائم الخصوصيات الثقافية المحلية.

ومع ذلك فإن هذا لا يمنعنا من الاعتراف بوجود شـذرات جنينيـة في التفكير العربي القديم حول العلامة عند كل من الجاحظ وابن جني وعبد القاهر الجرجاني الجرجاني وابن سينا والقاضي عبد الجبار، وهـي إشـارات لا يسمح المقـام بـالوقوف عندها كلها، لكنها لا ترقى إلى بناء نظرية سيميائية، من حيث أنها جاءت عبـارة عن إرهاصات مشتتة هنا وهناك عند هؤلاء ولم تخرج أبدا في صورة متكاملة تبين بجلاء الحدود المفاهيمية والإحداثيات المنهجيـة الـتي رسمهـا أدبـاء وعلمـاء الـتراث العربي القديم.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧ ────────────

2) المدرسة الأوربية و الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة:

تمهيد:

لقد ارتبطت المدرسة السيميولوجية الأوربية بشكل كبير بالخلفية اللسانية البنيوية التي جاء بها العالم السويسري فرديناند دوسوسير (1857-1913) الذي أحدث كتابه "دروس في اللسانيات العامة" رجة فكرية مهمة ونقدية على مستوى الانقلاب على "كلاسيي" الفيلولوجيا والمقاربات السطحية للغة لأجل استنباط الأنساق الدالة التي لم يكن أحد ليجرؤ الحديث عنها قبل سوسير، خاصة وأن العالم الفرنسي **إيميل دوركايم** قد قارب اللغة ولكن بما هي ظاهرة اجتماعية وبما هي جزء من المكونات المجتمعية التي تتأسس داخل الوعي الجمعي الكلي المتمثل في الجماعة والعلاقة مع الآخر. إذن حتى نلامس موضوعنا أكثر ،نجد أن علاقة سوسير ب"السيميائيات" هي علاقة قاعدية من خلال تسمية سوسير نفسه لهذا العلم الجديد الذي بشر به مطلقا عليه اسم "السيميولوجيا". وعلى مستوى العلامة اللسانية التي بشر بها دوسوسير، فهي تتكون من مكونين أساسيين هما الصورة السمعية Image Acoustique والمفهوم Concept اللذين يسميهما سوسير على التوالي: الدال والمدلول، حيث الأول هو البصمة النفسية للصوت المادي والثاني عبارة عن فعل شعوري نفسي ومجرد.

لقد جاء سوسير بمجموعة من المفاهيم التي تصب في قالب نظريته من ضمنها الاعتباطية بين الدال والمدلول والمقاربة السانكرونية بدل الدياكرونية للغة، والتمحيص في الجوانب التي ترصد وصف اللغة بعيدا عن المقاربات الفيلولجية أو الفيلولجية المقارنة وفقه اللغة الذي لا ينفذ إلى عمق اللغة ومكوناتها. وما يهم

بالأساس في نظرية سوسير على الأقل في ارتباطه بالعلامة، أنه أشار بشكل واضح لا لبس فيه إلى علم" السيميولوجيا" خاصة في كتابه "**دروس في اللسانيات العامة**" (أو علم اللغة العام حسب الترجمة) إذ يقول دوسوسير: " لقد رأينا أن اللغة نظام اجتماعي، وهنا تدخل في الحسبان أمور أخرى عدا الأنظمة السياسية والقانونية وغيرها، إذ يجب علينا أن نستعين بصنف جديد من الحقائق لتلقي الضوء على الطبيعة الخاصة للغة. فاللغة نظام من الإشارات System of signs، التي تعبر عن الأفكار، ويمكن تشبيه هذا النظام بنظام الكتابة، أو الألفبائية المستخدمة عند فاقدي السمع والنطق، أو الطقوس الرمزية أو الصيغ المهذبة أو العلامات العسكرية أو غيرها من الأنظمة، ولكنه أهمها جميعا "[1].

هذا التصور الذي يبلوره سوسير يعتبر بالنسبة للدراسات السيميائية اللاحقة بمثابة خارطة طريق عبدت المسار أمام مجموعة من تلامذته للمضي قدما نحو مقاربة الأنظمة الدالة، والابتعاد أكثر ما يمكن عن المقاربات السطحية والمبتذلة التي كان يقوم بها فقه اللغة المقارن، ثم على مستوى آخر رسخ سوسير من منطلق الباحث المهتم بالمدارسة العلمية للغة مبادئ "السيميولوجيا" وارتكز في ذلك على وعي ابستيمي يؤمن بالفروق الجوهرية التي تتأسس بين العلوم، وبالاختلافات المنطقية التي يحتويها كل علم، ولذلك فقد كان يحاول، من منطلق لساني، أن يجد تفسيرا صائبا ونمطيا للأنساق الدالة التي يحيا وسطها الإنسان. ولتوضيح الرؤية أكثر يقول دوسوسير: " ويمكننا أن نتصور علما موضوعه دراسة حياة الإشارات في

1- فرديناند دوسوسير، علم اللغة العام، ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز، درا آفاق عربية ،1985، ص 34.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————

المجتمع؛ مثل هذا العلم يكون جزءا من علم النفس الاجتماعي، وهو بدوره جزء من علم النفس العام وسأطلق عليه علم الإشارات (Semiology) وهي لفظة مشتقة من الكلمة الإغريقية semeion = الإشارة. ولما كان هذا العلم لم يظهر إلى الوجود إلى حد الآن، لم يمكن التكهن بطبيعته وماهيته ولكن له حق الظهور إلى الوجود، فعلم اللغة هو جزء من علم الإشارات العام... وتقع على علماء النفس مسؤولية تحديد الموضع الدقيق لعلم الإشارات"[1].

لقد اهتم دوسوسير بشكل كبير بعلم الإشارات الذي أطلق عليه علم "السيميولوجيا" فاتحا بذلك المجال أمام العلماء والدارسين للنبش في ماهية هذا العلم وطبيعته، وبالتالي تحديد المواضيع التي من المحتمل أن يتبعها ويتضمنها بقواعده وانشغالاته. وعلى هذا الأساس اللساني المحض، بقيت العلامة عند سوسير ثنائية ومرتهنة إلى المحدد اللسني الخالص، ومع ذلك فإن التصور السوسيري لثنائية الدلالة فيه بتر كبير لأسيقة خارجية متمثلة في المرجع وهي عناصر لم ينتبه إليها هذا العالم اللساني، مما جعل البؤرة التداولية في نظريته مغيبة وغير مستحضرة. لذلك فـ " إذا كانت السيميولوجيا السوسيرية تمتاز بالمحايثة أي بحصر دائرة الاهتمام في العلاقات القائمة بين الدلائل مركبيا وبدليا وبين الدوال والمدلولات، فقد ظلت الكثير من العناصر الأساسية في اللغة بمنأى عن المعالجة العلمية التي تنور معرفتنا بهذا الجهاز الذي هو اللغة. إن النزوع السوسيري المتسم بنزعة المحايثة قد أغفل المرجع أو الأشياء التي تحيل عليها الكلمات كما ترك المبهمات أو الإشاريات في

1– نفس المرجع والصفحة .

الظل، ولم يلتفت إلى العناصر النصية التي تتخطى الجملة ناهيك عن العناصر النفسية والاجتماعية والثقافية والحضارية التي لا يمكن بدونها التمكن من الفهم المناسب لنسق اللغة "[1].

وعلى خطى سوسير تأسست مجموعة من الاتجاهات السيميائية التبي وسعت مجال السيميائيات، لكنها بقيت وفية للمنطلق السوسيري بما هو منهل رئيس وأرضية لسنية صلبة تستند عليه، وبالتالي اعتبر بمثابة إغناء أولي لهذه الاتجاهات السيميائية، التي تغذت إضافة إلى ذلك من روافد فكرية وفلسفية متباينة، جعلتها ترتوي بترياق التنويع النظري وتثري التصور الخاص للمنهج أحيانا أخرى. لذلك وحتى يكتمل تصورنا للمنهج السيميائي في شموليته سنحاول في المحطة اللاحقة الوقوف على أهم هذه الاتجاهات السيميائية راصدين بذلك الأبعاد الفكرية والفلسفية التي تغذيها، فضلا عن الإضافات التي قدمتها للحقل السيميائي، من حيث قدرتها على الانفتاح على باقي أنواع القول/الخطاب الإنساني من عدمه، ومن حيث ملاءمتها لمدارسة كافة الأشكال الرمزية التي تختزلها الثقافة الكونية والوعي الجمعي للكائن البشري .

1- محمد الولي، السيميوطيقا والتواصل، مجلة علامات، عدد 16 2001، مكناس، المغرب، ص 87 .

2- 1- **سيميائيات التواصل** :

ننطلق في هذا المبحث من المقومات الفكرية التي تستمد منها سيميائيات التواصل كينونتها داخل النسق السيميائي العام، إذ ترجع مرة أخرى إلى المعطى اللساني السوسيري، والذي يعتبر بمثابة قاطرة "السيميولوجيا" بمختلف توجهاتها، ومنه استمدت سيميائيات التواصل مقوماتها مستفيدة من "تعدد المنطلقات الابستيمولوجية لعلمائها، وتعتبر سيميولوجيا التواصل اتجاها قويا فرض نفسه وأفكاره على الكثير من الباحثين..أمثال "بويسنس" و"بريبطو" و"مونان" و" كرايس" و"أوستين" وهو اتجاه استمد الكثير من مفاهيمه من أفكار اللسانيات حيث لا نكاد نجد اختلافا بينه وبين ما جاء به دوسوسير سوى في بعض الإضافات التي أضافتها السيميولوجيا "[1]. نفس الاتجاه تغذى من أبحاث الباحث الفرنسي **أندري مارتيني** الذي بقي وفيا للعتاد "المفاهيمي" الذي صاغه سوسير، فيما اقترح **جورج مونان** إحداث تصنيف للأنساق التواصلية غير اللغوية منطلقا من قربها من المجال اللساني، ومحللا الانتاجات الفنية والاستيطيقية التي تضمر شفرات تواصلية. من هذا المنطلق إذن، اعتبرت سيميولوجيا التواصل اللسان نسقا خاضعا لشروط الألسنية، لكنه يحتاج إلى البنيات السيميائية لتحليله.

إن السيميائيات التواصلية لم تظهر إلى الوجود بوعي نظري إلا مع إنتاجات **إيريك بويسنس** و**لويس بريبطو** من حيث قدرتهما معا على استنباط العلاقات الكامنة بين الدال والمدلول خاصة مع كتاب اريك بويسنس **"اللغات والخطاب** " الصادر سنة 1943، والذي جاء بمفهوم المقصدية بالإضافة إلى مفهومي الدال

---

1 - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ، ص 85.

والمدلول اللذين نظّر لهما سوسير سابقا. فالجانب الوظيفي يختص بالقصد في التبليغ من عدمه من جهة،و من جهة أخرى "هؤلاء اللسانيون والمناطقة لا يهمهم من الدوال والعلامات السيميائية غير الإبلاغ، والوظيفة الاتصالية أو التواصلية، وهذه الوظيفة لا تؤديها الأنساق اللسانية فحسب، بل هناك أنظمة سننية غير لغوية ذات وظيفة سيميوطيقية تواصلية"[1].

إن سيميولوجيا التواصل في مختلف التنظيرات التي أتت بها، قد انطلقت بشكل قاعدي من اللسانيات السوسيرية البنيوية محاولة، كتيار سيميائي، الاشتغال على الأنساق التواصلية في إطارها الاجتماعي،و في إطار العلاقات الخاصة التي تربط الباث والمستقبل للرسالة، وهي التي جعلت اللهاث وراء المعنى يستنزف مجموعة من الأبحاث التي سعت إلى حصر الدلالات في ميكانيزم التواصل مرتبطا باللغة ومحصورا في الجانب التلفظي،" ولم يكن هذا المشكل مطروحا على صعيد اللسانيات لأن الوظيفة التواصلية للعلامة اللغوية وطابعها القصدي أمران لا جدال فيهما. أما نقل معايير اللغة وتطبيقها على أنساق أخرى فهو يطرح قضايا أخرى يأتي في مقدمتها التساؤل عن الطابع التواصلي لهذه الأنساق. وقد ظل هذا المشكل قائما رغم التخريجات التي قدمها أصحاب هذا الاتجاه: فقد اختزل برييطو المعنى (Sens) في التواصل، إذ رأى أنه لا وجود للمعنى إلا في إطار العلاقات الاجتماعية"[2].

إن المبحث السيميولوجي من داخل اللسانيات قد شحذ لنفسه آليات وتوجهات خاصة من حيث تطوير النسق السوسيري المنبني على اللغة وحدها، والعمل

1- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 87.

2- عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب، ص 66.

على تجاوزه بغية التركيز على الوظيفة التواصلية وضرورة التأثير على الغير دون الخوض في المرامي الحقيقية للسيميائيات والمتمثلة في حصر الدلالة وانفلاتها والغوص في العلاقات الخفية المنسوجة ما بين الكائن البشري والمحيط الذي يحتضنه.

فالسيميائيات من داخل إطار اشتغالات **بويسنس وبرييطو** ورغم إضافتهما لعنصر ثالث هو الوظيفة المقصدية والتأثيرية ما بين المرسل والمرسل إليه (بالمفهوم "الأنغلوسكسوني" والمأخوذ من إحداثيات الدلالة) لم تساعد العلامة على الانعتاق من بوابة النسق اللغوي اللسني، وبقيت السيميائيات مكبلة بسبب عدم قدرتها على مقاربة أشكال تعبيرية لا تستعمل اللغة ولا تنحو إلى الاعتماد في وجودها داخل "حيز" العالم فيزيقيا أو معنويا على اللسان وحده.

◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇———————————

2- 2- **سيميائيات الثقافة**:

يروم رواد هذا الاتجاه السيميائي البحث في الأبعاد الثقافية التي تتسم بها العلامات وهم بذلك يجمعون بين الحضور التواصلي والدلالي من خلال إيجاد أرضية فكرية وفلسفية تعتبر العلامة ذات أبعاد ثلاثية، تتجاوز الدال والمدلول إلى عنصر خارج لساني هو المرجع، الذي يندرج في إطار "أسيقة" تسنين ثقافي برزت من خلال ما قدمه الباحث **ارنست كاسيرير** في فلسفة الأشكال الرمزية والتي تعتبر بمثابة "دستور" هذا الاتجاه السيميوطيقي الذي سينطلق ضمن مسارين متباينين ولو أنهما معا ينتميان إلى المجال الأوربي: مدرسة موسكو- تارتو السوفياتية واتجاه ايطاليا. وقبل المضي قدما في شرح الأسس الأيديولوجية التي قام عليها هذا الاتجاه حري بنا العودة إلى جذوره انطلاقا من تنظيرات **ارنست كاسيرير** في كتابه" الوظيفة والجوهر" والذي عرف ظهوره سنة 1910، أي في عز اشتعال جذوة الدرس اللسني واتقاد شرارة الاهتمام بالعلامة، والثورة على مناهج المدارسة الفيلولوجية والتي لم تستطع سبر أغوار العلامة إلا من بعيد، إذ " سعى أرنست كاسيرير مع بداية القرن العشرين، إلى بناء تصور ابستيمولوجي للعلوم الدقيقة وعلوم الطبيعة، هذا المشروع الذي بلوره مبدئيا في كتابه **"الجوهر والوظيفة"** (1910)، وجد منطلقه القاعدي في أفكار كتاب **"نقد العقل الخالص" لإمانويل كانط** "[1].

1- عبد القادر فهيم الشيباني، فلسفة الأشكال الرمزية، مجلة فيلادلفيا، العدد 4، 2009، الأردن، ص 72.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————————

لقد استند **كاسيرير** على خلفية فلسفية خالصة هي الكانطية بما هي توجه جديد أحدث رجة فكرية في مفاهيم العقلانية والمعرفة والوجود، وهي خصائص انتقدت **الديكارتية** بشكل أساس خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وفتحت مجال التصور على مصراعيه أمام الانتظام في مقاربة الأشكال المتنوعة للتعبير الإنساني، بما فيها اللغة وتمظهرات الفكر الإنساني وتجسده الخالص في موضوعات تنسكب ضمن "موتيفات" معينة هي ما طوره مثلا **بورس** ضمن نظريته المنطقية. ودون إغفال الأطروحة التي يقوم عليها بحثنا المتواضع هذا من حيث مساءلة المنهج السيميائي حول تقديم تفسيرات فاضحة لزئبقية المعنى، ومن حيث استطاعته الوصول إلى أعماق هذه الدلالة العميقة التي ورطت الكائن العاقل بتعبير **دريدا** في رمزيتها، فالسيميائيات الثقافية جزء لا يتجزأ من هذه المنظومة المتشعبة التي حاولت بدورها إيجاد تفسير معين لانساق العلامات من زاوية مغايرة.

إن اتجاه السيميائيات الثقافية، كما قلنا، يمتح من أعمال كاسيرير الذي حاول بدوره تجاوز العقم "المثنوي" السوسيري البنيوي ما بين الدال والمدلول، ليخلص إلى تطعيم الشكل "الدلائلي" بثالوث فوق-لساني هو المرجع. ولا عجب إذا قلنا أن **كاسيرير** لم ينطلق من مجال لسني كلاسي ضيق ،بقدر ما حاول أن يوسع أفق الدرس السيميوطيقي وانفتاحه على الخلفية الفلسفية والعلمية، من حيث صياغته لتصورين يحصران العلوم العامة كما يذهب إلى ذلك السيميائي الجزائري عبد القادر فهيم الشيباني هما:

"أ) - الأنموذج الأرسطي: الذي يرى أن العلم هو ما يقوى على ابتداع مفاهيم شمولية، مستمدة من الطبيعة بمختلف أجناسها.

ب)- الأنموذج الغاليلي: الذي يرى أن العلم هو إعادة بناء وظيفة للمفاهيم، حيث يأخذ هذا البناء نمطه البنيوي وجوهره الرياضي مظهرا توليديا بالأساس"[1].

إذن من هذا المنطلق الذي انخرط فيه **كاسيرير**، قام هذا الأخير بالبحث في نسق تفكير جديد يبتعد قدر الإمكان عن "الهلامية" والسديمية الدائمة، من حيث طرح الأسئلة الإشكالية الكبرى التي تبقى الإجابة عليها مجرد زحزحة تجريدية متجاوزة للأنساق الرمزية الدالة التي تحبل بها حياة الكائن البشري. وبهذا التصور تبدو لنا حاجة الإنسان أكثر بكثير من مجرد النظر إلى العلاقة مع العالم ومفهوم الجوهر عند كانط والكليات التي تغذت منها الإشكالات الفلسفية السابقة، والتي طبعت التاريخ الفكري الكوني المنشغل دوما بالأسئلة الكبرى وبتحديد المعرفة وعدم الاهتمام بالأشكال الثقافية التي تتمحور حولها حياتنا بخاصة.

إن كاسيرير بهذا الطرح الابستيمي يروم خلخلة وعي الكائن بإحداثيات ذاته وبأهمية العناصر التي تقاسمه الوجود، بدل طرح الأسئلة على هذا الوجود ذاته بما هي أسئلة فلسفية عميقة لا تخضع العلامة إلى مشرطها، كما لا تعير بالا لخصائص التدلال بالمفهوم البورسي، و"بدل الانخراط في البحث عن الشروط العامة التي تمكن الإنسان من التعرف على العالم، فإنه يبدو من الواجب حصر الأشكال الأساسية التي يفهم من خلالها الإنسان العالم"[2].

لقد انطلق كاسيرير من إيجاد الرابط المُفَكَّرِ فيه بين الإنسان والعالم من خلال "توسيع دائرة القاعدة المتعالية المعرفية، من سفسطة، وذلك عبر إعادة إدراج داخل الكون العقلاني للمعرفة غير الموضوعية، التي تخضع من حيث المبدأ لشروط

1- عبد القادر فهيم الشيباني، فلسفة الأشكال الرمزية، ص 72.

2 - المرجع والصفحة نفسهما..

ما هو عقلاني، وليس ذلك ممكنا إلا بوجود أدوات ووسائل تمكننا من تحيين الجزئية العقلانية داخل ما هو ذاتي، تحديدا ضمن اللغة والأسطورة والدين وحتى ضمن مجال المعرفة"[1].

فالأساس الابستيمي الذي ارتكز عليه كاسيرير في تنظيره لإحداثيات المعرفة والذات، ينهل مقوماته من الخضوع الجزئي للعقل الذي يرفضه **كانط** ومن تبعه من الفينومينولوجيين، ولكن أهم مبدأ "كاسيريري" ينطبق على تجاوز البؤرة اللسانية، يتمحور حول التوفيق بين الطاقة المخزنة في ذهن الإنسان، بما هي معرفة بالقوة بالمفهوم الأرسطي، والتمظهرات الموضوعاتية التلفظية وغير التلفظية بما هي علامة ممتلئة ومنفلتة من حصار "الخامية"، وهي التي تتجسد متمفصلة في أشكال رمزية لسنية كاللغة وغير لسنية كالفن بأنواعه المختلفة والرقص والأسطورة والدين. وكاسيرير هنا يلتقي مع **كلود ليفي شتراوس** على مستوى مقاربة الأشكال الثقافية بما هي علامات غير أن كاسيرير لا يقتصر على المقاربة "الإناسية"، بقدر ما يتجاوزها إلى العمق الفلسفي المنحدر من إشكالات العقل والمعرفة والذات والوجود. وكذلك لا يلتقي شتراوس مع كاسيرير ها هنا على الأقل لأن الأول يملك موقفا معينا ضمن السيميائيات (السردية خاصة) وهو ما سنتعرض له لاحقا في هذا البحث المتواضع.

كخلاصة لما سبق، لا تتموقع نظرية كاسيرير في نطاق سيميائيات الثقافة إلا لأنها قاربت مفهوم العلامة من منظور "مثلثي" يتجاوز التقسيم السوسيري "المثنوي" الممثل في الدال والمدلول من جهة، ومن جهة أخرى " إن السمطقةla sémiotisation

1- عبد القادر فهيم الشيباني، فلسفة الأشكال الرمزية، ص 73/72.

التي تجعلها الأشكال الرمزية ممكنة، ليست في مجملها لسانية، حتى وإن كانت تصبو لأن تصير لسانية عبر سيرورة تجريدية، فهي تستند أولا إلى ممارسة"[1].

لعل المميزات الأساسية التي تسم عقلانية كاسيرير هي إعادة التمحيص في العلامات فوق اللسانية والتي تنطبق على روح الظواهر الثقافية التي كانت موضة علوم الإناسة واللسانيات، ثم فيما بعد ستنتقل عدوى التمحيص العلاماتي والبحث عن التكامل المنهجي والتماسك النظري، إلى عدة بلدان بحكم المثاقفة والدراسات المقارنة التي تبحث في أصول الثقافات وأصناف العلامات، و" أما أهم رواد هذا الاتجاه فنجد من الاتحاد السوفياتي "يوري لوتمان"، و"ايفانونف"، و"أوسبنسكي"... وفي إيطاليا "**روسي لاندي**، و**أمبرتو ايكو** ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن العلامة تتكون من وحدة ثلاثية: المبنى- المدلول- المرجع "[2]، وهو التقسيم الذي يميز هذا الاتجاه عن الأول. وهذان الاتجاهان هما المغذيان الرئيسان للاتجاه من حيث أن جماعة موسكو-تارتو (**اوسبنسكي وايفانونف**) والجماعة الايطالية التي تزعمها **روسي لاندي**، قد اعتبروا الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية تندرج في إطار الاهتمام "العلامي" الخالص، وقاربوا الثقافة من منطلقين اساسيين حيث أنهم:

نظروا في المستوى الأول إلى " الثقافة من منظور داخلي أي من منظور ذاتها، وهو المنظور الذي يتمثله حامل هذه الثقافة ومستعملها...أما المنظور الثاني فيعتبر "الثقافة" و"اللا-ثقافة" مجالين يحدد كل منهما الآخر ويحتاج إليه: فالثقافة تخلق اللا-ثقافة وتستوعبها باستمرار "[3].

---

1 - المرجع نفسه، ص 73.

2 - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ، ص 97 .

3 - عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب، ص 71.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧

وهذا التعميق في البحث ومقاربة الظاهرة الثقافية من حيث علاقتها بصاحب الثقافة نفسه وضرورة استحضار الأيديولوجيا كسنن "سيمي"، يتعارض في نظرنا مع الأسس العلمية البنيوية التي يستند عليها المنهج السيميائي بما هو منهج ينشد الموضوعية الداخلية، ويسعى إلى مدارسة النص/ العلامة من حيث هي إنتاج خارج بنية "الإيديولوجي"، فأي تداخل هذا في السيميائيات الثقافية الذي يسمح لها بمدارسة الظواهر الثقافية تواصليا، بينما اللغة الحاملة لها تتغذى بمنظور أيديولوجي من الماركسية والفكر "المُشخصِن" لموضوعية الذات وإنتاجيتها ؟

و في الإطار نفسه نجد **أمبرتو إيكو** يقارب العلامات على اختلاف مشاربها جامعا بين المدرستين الأمريكية والأوربية، ومتنقلا ما بين المذاهب ومستقرا في النهاية مع **روسي لاندي** ضمن إطار سيمياء الثقافة، حيث السيميوطيقا عنده" مرتبطة أشد الارتباط بالجانب الإيديولوجي المرتبط بدوره بالسلوكات الإنسانية، فـ"لاندي" إذن يهدف إلى الكشف عن كل سلوكات الإنسان وتعريتها من خفاياها الإيديولوجية المختلفة "[1].

إن سيمياء الثقافة واحد من الاتجاهات الأوربية التي قاربت الأنساق التي ينتجها الإنسان ويتواصل بشأنها، وقد تمسي أثناء التحليل تمظهرات معينة يقوم فيها منتج الخطاب بالتنقل بين ما هو لساني وما هو ثقافي قد تختلف فيه أشكال التعبير كما قد تتجاوز المستوى اللساني إلى مستويات فوق-لسانية. وليس هذا فقط، بل هناك اتجاهات سيميائية أخرى تنهل من التوجه الاوربي، وهي سيميائيات الصورة والدلالة والأهواء التي سنفرد لها الحيز التنظيري اللاحق ضمن هذا المحور.

---

1 - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 100.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————

3-2- **سيميائيات الصورة**:

لقد قدمت هذه المدرسة تصورات مختلفة حول مقاربة الصورة كجزء من المنجز البصري الإنساني، حيث اهتمت بكل مكوناتها من صورة فنية ومن تشكيل وصورة فوتوغرافية وصورة سينمائية وصور العرض المسرحي،و نحن حينما نستحضر الصورة في هذا السياق إنما نروم الحديث عن الاتجاه السيموطيقي الذي انتبه إلى عنفوان الصورة واكتساحها الكبير لمجالنا البصري واقتحامها لخلوتنا الطقوسية التي ترتبط بالوجود أصلا في مختلف تجلياته، بحيث أصبحت الصورة تتداخل مع باقي الأنساق الدالة التي تحيط بالكائن البشري وتثري خصوصياته.

لذلك نجد أن " السيرة الوجودية والإبداعية للإنسان كانت ومازالت قرينة الوهم بقدر متاخمتها العملية للواقع وشواهده...فالإنسان القديم عبر عن مكنوناته بالرسم على الجدار،و تشكل المواد المتاحة، ولبس الأقنعة السحرية... ثم طبع كل ذلك بمشاريعه الذهنية، واستيهاماته الفكرية وتساؤلاته الوجودية، فتحولت التماثيل إلى أصنام للعبادة والأقنعة إلى رموز سحرية، والرسوم الجدارية إلى تمائم... فلم يكن المصور البدائي يقلد الطبيعة وأشياءها. بل أصبح يضفي على أعماله أبعادا روحية ودلالية"[1].

و في سبيل نشدان الشمولية كما تدعي ذلك السيميائيات، سعى هذا المنهج إلى اقتحام هذا المجال في شتى تعبيراته وأشكاله، سواء كان ذلك رسما وإنتاجا إبداعيا خالصا، أو إنتاج آلة (كاميرا) تحركها عين الكائن ليست بما هي عضو

1- عمر عبد العزيز، العصر وفنون الوهم، ندوة العالمية وحوار الذاتيات في الفن، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2002، ص 23.

بيولوجي ولكن بما هي أداة للمساهمة في "تسييق" الدلالات الثقافية، حيث إن الرسم مثلا " فن ضارب في جذور التاريخ، ذلك أن الإنسان الأول اعتاد التعبير عن حياته ومحيطه عن طريق نقش صور في الكهوف والصخور... كما أنه وسيلة من وسائل التنفيس عن النفس، إضافة إلى الأدب والموسيقى، إنه تعبير رمزي غير واضح المعالم، وكالعادة فقد اقتحمت السيميائيات هذا الميدان الجمالي محللة إياه، ومستخلصة مختلف الدلالات والتأويلات الممكنة"[1].

إن هذا الاهتمام الجمالي منبعه الأساسي يكمن في أن الإنسان قد التجأ إلى النقوش/الرسوم خاصة في المراحل القديمة/ البدائية للتعبير، ثم لاحقا ستتبلور نظرة جديدة إلى الفن من حيث ثراؤه وتفرده داخل حياة الإنسان، وهذا أدى إلى بروز نوع من الخطاب المضمن (بفتح الميم الأخير)، والانتقال بهذا المستوى إلى ترسيخ أشياء جمالية قيمة هي بتعبير **نيتشه** المكونات الأساسية للكائن البشري الذي نعتبره هنا كائنا جماليا.

فقد راعت السيميائيات الفرنسية في شخص **بارث** والأمريكية في توجهات من ورث المذهب **البورسي** الاهتمام بالفن التصويري، سواء من حيث هو رسم وإبداع يحمل في دلالته مكونات ترميزية بلغة اللون/الأيقون أم بلغة الإيحاء التي يعتبرها بارث اللغة الحقيقية المقصودة، أم من حيث هو لغة متعالية تخرق لغة "اللوغوس" وتتسربل بعيدة عن منطقة العقل. هذه المكونات ذاتها هي ما جعل السيميولوجيا أو السيميوطيقا تسبر أغوار فضاء الصورة/ الفوتوغرافيا وتتعامل معها بما هي علامات تتضمن خطابات تبصمها انجازات الكائن البشري وتقوم بعملية إزاحة(الإزاحة

1 - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 118.

الرياضية) للواقع، لأن " الهدف من مساءلة الصورة الفوتوغرافية هو استخراج التمثلات الذهنية التي تُبنين هذا النوع من الإنتاج، وهي تمثلات تتحكم في السلوكات اليومية للإنسان وفي القيم التي ينتجها. واستطاع **بارث** بدراسته لهذا النوع من العلامات أن "يفضح" تلك الثقافة/الأيديولوجيا التي تختبئ وراء ما يقدم نفسه كطبيعة يتداولها أفراد مجتمع ما بكل بداهة وعفوية" [1].

إن بارث يعتبر الفوتوغرافيا نسقا سيميائيا متضمنا لثلاثة عناصر هي: الدال والمدلول والعلاقة التي تجمعهما، وهي ما يصطلح عليه بالعلامة الفوتوغرافية التي تخلق تشابكا ما بين دال ومدلول عن طريق علاقة بينية، وهذا ما يتبلور على مستوى النسق السيميائي الأولي والذي يلتقي بشكل آخر مع مستوى النسق السيميائي الثاني الذي يصير مدلولا لدال النسق السيميائي الأولي، وهي علاقة تربط مثلا بين الصورة والأسطورة في مستوى أيديولوجي محض.

من منطلق آخر تبدو الصور -بما هي علامة أيقونية- مختلفة عن العلامة اللسانية وتحتاج إلى عدة أخرى قصد مدارستها بوعي مختلف، وهو ما لم ينتبه إليه السيميائيون اللسانيون حيث "الصورة الفوتوغرافية تشتغل وفق وحدة تامة تقدم نفسها على شكل كلي Totalité. فمجموع العناصر المشكلة للعلامة الأيقونية تفرض على المتلقي تصورها بوصفها وحدة شاملة يصعب التقديم أو التأخير في نظامها المتجانس" [2].

1- عبد الرحيم كمال، سيميولوجيا الصورة الفوتوغرافية/ بارث نموذجا، مجلة علامات عدد 16، مكناس، المغرب، 2001، ص 96.

2 - محسين الدموش، الصورة الفوتوغرافية بين الدلالة والتدليل، مجلة فكر ونقد، عدد 57، مارس 2004، ،الرابط /المغرب، ص 108.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————————

إن العمل الذي قدمته مجموعة من الأبحاث التي قاربت الصورة بمختلف تجلياتها سواء مع **بارث** أو **برنار توسان**، قد نظرت إلى ذلك من منطلق لساني، وبقيت العدة الخاصة بالعلامة الأيقونية محتاجة – غالبا- للرجوع إلى مسار التدليل السوسيري" المثنوي" ما بين دال ومدلول ،لأن التفكير في إيجاد علاقة ما بين الدال والمدلول، كما ذهب إلى ذلك **بارث**، تبقى غير مجدية، مادمت الصورة في كليتها كيان موحد أو إذا نظرنا إليها باعتبارها نصا يستعمل وسائط غير لسنية في تشكلنه "النصي"، وهذا الكيان طبعا لا يخضع للتجزيء.

ثم إذا ما سلمنا جدلا وكما ذهب إلى ذلك بارث أن الصورة علامة تشتمل على علاقة بين دال ومدلول، بين مرسل ومرسل إليه (فرد أو جماعة)، فإن السيميائيات البورسية في هذا السياق وخاصة فيما يتعلق ب"الصورة الفنية"/ اللوحة التي تنتمي إلى مجال الفن التشكيلي التجريدي مثلا والتي تحتاج قراءتها إلى مسار تدلال (سميوزيس) مغاير تقطعه كي تصير قابلة للتأويل، لابد أن تستحضر عنصر "المؤول" لكون العلاقة بين الدال والمدلول غير كافية لحصر المعنى، ولابد كذلك من استحضار الأسيقة التداولية بمفهوم الباحث الفرنسي دومينيك **مانكونو** في هذه الوضعية كي تكتمل عناصر العلامة وتصير مكشوفة الثنايا أمامنا.

4-2- **سيميائيات الدلالة**:

تتبني سيميائيات الدلالة على النظر إلى النص بما هو شبكة معقدة من العلاقات الظاهرة والباطنة والتي ترتهن إلى الدراسة المحايثة المنبنية على التحليل البنيوي الخالص، وهي اتجاه سيميائي تزعمه ألجيرداس جوليان كريماس، الذي انطلق من مجموعة من الأسس الفلسفية والفكرية والخلفيات الأيديولوجية السابقة، التي اغترفت من معين عديد من المدارس اللسانية سواء من اللسانيات السوسيرية أو من اللسانيات التوليدية لدى تشومسكي، أو من الإرث البروبي والتحليل الوظائفي للشخصيات أو من أعمال الألسني الدانماركي لويس هيالمسليف واتجاه المدرسة الكلوسيماطية، إضافة إلى الدراسات التي قدمها كل من دوميزيل وإيتيان سوريو وتينيير، والتي أسهمت بشكل قاطع في تشكل الملامح النهائية للسيميائيات الكريماسية.

فسيميائيات الدلالة "هي تحليل محايث... بنيوي، باعتبار النص نسقا "مبنينا" من العلاقات الخلافية بين وحداته ومستوياته، والتحليل في هذا الإطار ... يروم كشف ورصد مجموع الاختلافات الدلالية التي يبنيها النص، حيث (انْوِجَادُ) المعنى في النص رهين بوجود هذه الاختلافات والتقابلات، هكذا يصير التحليل كشفا للشكل الذي يهندس النص وفقه معناه "[1].

وقد تبلورت هذه التصورات بشكل خاص مع **رولان بارث وألجيرداس جوليان كريماس** رائد الاتجاه السيميائي السردي، حيث نشير إلى بعض الخصوصيات التي

---

1 - بلقاسم الزميت، ، تشكل الدلالة في السيميوطيقا الدلالية لكريماس، مجلة فكر ونقد، عدد 57، الرباط، المغرب، مارس 2004 ص 61.

ميزت هذا الاتجاه ولو باقتضاب، من حيث طبيعته والاختلافات التي يتميز بها عن باقي الاتجاهات السيميائية الأخرى، لأنه "عند أصحاب الدلالة لا يمكن أبدا الفصل بين أمارة لا تتوفر على قصدية التواصل، ودلالة تتوفر على ذلك، بل نقول أننا نتعامل مع لغة تتأثر بالطبقة الاجتماعية التي تتكلمها، وصعوبة الفصل بين الدليل والأمارة"[1]، لارتباطهما الوثيق ولاحتوائهما على عناصر مشتركة يتضمنها الاثنان بشكل تواشجي، رغم الزعم **البارثي** بزئبقية العلامة حيث يقول بارث نفسه:

" فإذا كانت السيميولوجيا التي أتحدث عنها قد عادت إلى النص،فلأن النص قد بدا لها، خلال مجموع أشكال الهيمنة هذه، هو علامة على انعدام السلطة، فالنص يحمل في طياته قوة الانفلات اللانهائي من الكلام الاتباعي، حتى ولو أراد هذا الكلام أن يعيد بناء ذاته في حضنه"[2]. فليس المهم ها هنا التأصيل لمصادر العلامة لكن من الأجدر التفكير حسب بارث في المعنى الإيحائي الترميزي الذي يقبع في الهناك والذي يستحيل على القدرة اللسنية وحدها استكناه مضامينه.

وحسب الباحث المغربي عبد الواحد المرابط "تنطلق سيمياء الدلالة أيضا من تصورات سوسير، غير أنها تتجاوز التواصل وما يستلزمه من مقصدية لدى مستعملي العلامات، وترتكز بالمقابل على آليات الدلالة داخل هذه العلامات وداخل أنساقها السيميائية. ولذلك لم يرتبط هذا الاتجاه باللسانيات الوظيفية (تروبتسكي، ديكورتيناي، جاكبسون، مارتيني) بقدر ما ارتبط بلسانيات **هيالمسليف**

1- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 92

2 - رولان بارث، درس السيميولوجيا، ترجمة عبد السلام بتعبد العالي، دار توبقال للنشر، الرباط، 1993، ص22.

الكلوسيماتية. ويتمثل هذا الاتجاه الدلالي في أعمال **كريماس** المتعلقة بالسرد وأعمال **ليفي-شتراوس** في مجال دراسة الأساطير وغير ذلك"[1].

إضافة إلى هذه الأعمال المنبنية على دراسة كافة أشكال السرد والبحث في حياة الدلائل من خلال تنويع العلاقة بينها، فقد ساهم بارث من خلفية أخرى في رصد مظاهر الدلالة في أشكال التعبير المتنوعة التي تتمظهر في الوقائع الحياتية كالمسرح والسينما والمقال، حيث يعتبر أنه بالإمكان دراستها ضمن "ميتولوجيا" سيميائية توسع المفاهيم اللسانية لتحليل تمظهرات الثقافة الجماهيرية[2]، وهذا الانطلاق من الميتولوجيا هنا، إنما يرتبط في مستوى اللاحق مع السابق من حيث إن بارث يعتبر اللسان وعاء أوليا تنطلق منه هذه التمظهرات، أو تترجم إليه، وهو الأصل السابق المرهون لاحقا بالتمظهر في الشكل السيميائي الذي يرتضيه منتج العلامة. وعلى مستوى وجود هذه التمفصلات فقد ضمنها بارث ضمن أربعة مستويات هي:

1) مستوى اللسان والكلام.

2) مستوى الدال والمدلول والذي نطلق عليه " المستوى المثنوي".

3) مستوى المركب والنسق.

4) مستوى التعيين dénotation والإيحاء connotation[3].

و الأهم من هذه المستويات هو المستوى الرابع والذي قدم فيه بارث تفصيلا معينا لإحداثيات الدلالة داخل الخطاب السيميولوجي، من حيث اهتمامه بدراسة دلالة اللباس والأطعمة وانفتاحه على مختلف أشكال الدلالة والثقافة خاصة لدى

---

1 - عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب، ص 67.

2 -Roland Barthes, Mythologies, Ed Seuil, Paris 1957, P: 7.

3- عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب، ص 69/68.



المجتمعات غير الأوربية (الأسيوية)، حيث تتبى مقاربة بارث على علاقة الدال بالمدلول تعيينيا أي منتجا للدلالة المباشرة، وهذا التمفصل الثاني يصير بدوره دالا لمدلول ثانٍ يصير بدوره دالا لمدلول ثالث وهكذا، ضمن سيرورة تدلال ما بين التعييني المباشر التقريري، وبين الإيحائي الشعري الانزياحي الذي تتبنين فيه الدلالة ضمن إحداثيات الانزياح والتلاعب بتصريحية العلامة، والانتقال بها إلى مستوى أرقى مع الحفاظ على الخصوصيات النصانية في المقاربة ودونما الانتقال إلى ما هو خارج-نصي، لاسيما وبارث في أسيقة أخرى (في كتابه **نقد وحقيقة**) ينتصر لموت المؤلف وانبناء الدلالة من نسقية النص وبنيته الداخلية وليس من خارجه.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧✧────────────

5-2)- **سيميوطيقا الفن**: **العلامة بين الآلة والجسد، من المسرح إلى السينما**:

تمتاز مجمل الدراسات السيميائية في نسقها العام بسعيها إلى مقاربة مختلف أشكال التعبير الإنساني بما فيها الأشكال الفنية، التي ينزاح فيها الإنسان عن المستوى "التعييني" بتعبير بارث إلى مستوى رفيع مقاميا وتداوليا هو المستوى "الإيحائي" الذي تنفتح فيه الذات على أفق التعبير "النقي" المتملص من سطوة الواقع، الميكانيكا ومن جبروت المادة، على اعتبار أن هذه "التشاكلات" المرمِّزة للوجود الإنساني هي بدورها لا تخرج عن إطار "العلامية".

وهذا الانطباع "الثانياني" المختزل ضمن شساعة تفرد الذات هو الذي جعل الفيلسوف الألماني **إيمانويل كانط** يعتبر أن " ما هو جمالي لا يهم الموضوع الذي تم تمثله، بل (حالة الذات وشعورها)، إذ أن الإقرار بكون الشيء جميلا هو الشعور الذاتي بالعلاقة القائمة بين تمثل الشيء وحالة اللذة "[1] التي ينتجها هذا التمثل. وهذا الرأي الكانطي يتقاطع مع رأي فيلسوف آخر في تنظيره للفن هو **هيغل** الذي نظر إلى الفن بما هو اتحاد بين البؤرة الحسية والعقلية، وبين الطبيعة والفكر وبين الداخل والخارج ليأتي متجسدا كمضمون للمعرفة في امتلاء حسي معين . لقد اهتمت المدرسة الفلسفية الألمانية كثيرا بجدلية الفن والذات والعلاقات المتشابكة التي تزركش المسافات الفاصلة بين الفن والإنسان منطلقة من أسس التجريد وخارقة قواعد المنطق أحيانا، حيث نجد فيلسوفا آخر هو **نيتشه**، يعتبر الفن قناة " للتعبير

1- محمد الجزائري، الصلة الخرساء، تصحر الفنون، حضور الذات وغياب المجتمع، كتاب جماعي، العالمية وحوار الذاتيات في الفن، منشورات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة 2002، ص83.

المباشر عن الطبيعة، فهو "لوغوس الفيزيس" أو ما يمكن نعته "بالفرحة التراجيدية"[1]، وهذه الخصوصيات تجعل نيتشه يعتبر المهمة الميتافيزيقية الكبرى للفن متجلية في (إرادة القوة).

و قد اهتم التحليل البنيوي والسيميائي بالفن بما هو علامة تتورط فيها منجزات الكائن البشري، وبالتالي وجب إخضاعها هي الأخرى إلى الدراسة والمقاربة أولا بغية تقريب دلالاتها الهاربة والمتمنعة، وثانيا بغية خلق "براديغم" نقدي يروم استنباط الميكانيزمات المتحكمة في عملية الإنتاج والتمفصلات الداخلية التي تحكم منطق الفن إن كان له منطق فعلا.

و"يشير **يوري لوتمان** Iouri Loutman أنه توجد أحكام مسبقة تتعلق بأن التحليل البنيوي يعمل على تحويل الانتباه عن محتوى الفن، وعن إشكاليته السوسيو-أخلاقية نحو دراسة شكلانية بحتة، حيث يرى البعض في ذلك قتلا للفن، ويرى البعض أن ذلك إعلان عن الفن الخالص وغياب أيديولوجي بئيس"[2].

فقد ارتبط الفن عموما وبعيدا عن الأشكال الواعية والقوالب الشكلية التي يتمظهر فيها، بمنظومة العمل ذاته منذ العصور القديمة منفتحا على الشعائر الطقوسية والاحتفالية والفرجوية خاصة بعد انخراط الآلة (كاميرا، أضواء، حاسوب..) في هذا المضمار، وهي المؤشرات التي تتبدى لنا في مجالي المسرح والسينما، وهما المجالان اللذان سنقتصر عليهما في هذا المحور من حيث انفتاح السيميائيات عليهما.

1- محمد الجزائري، المرجع السابق والصفحة نفسهما.

2 - الطاهر روابنية، سيميائية التواصل الفني، مجلة عالم الفكر، عدد 3 المجلد 35، الكويت، يناير/مارس، 2007، ص 249.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————————

2-5-1- **سيميائيات المسرح**:

ليس المسرح سوى "مايروكوزم" تمثيلي يسعى إلى القبض على اللحظات الخاطفة من حياة الكائن البشري ويسعى إلى تقزيمها بشكل "درامي" في إطار زمني "سانكروني"، يروم تقديم المتعة في خطاب دلائلي مليء بالعلامات، حيث نجد أن المسرح، بما هو فن راق، يعود إلى العصر اليوناني القديم، وبما هو " فن معاصر في الغرب يتحدد من عدة معطيات ومبادئ أخلاقية، لأنه يرتبط بتجربة إنسانية ترمي إلى "مسرحة" الحياة فنيا واستطيقيا"[1]. لقد رسخ هذا الفن لنفسه مكانة متمفصلة داخل السياق "العلامي" الكبير والذي وجدت السيميائيات نفسها متورطة في ضرورة إخضاعه إلى مسام الاستحضار إلى حضرة النقد والدراسة.

و انطلاقا من الاهتمام الذي أولته السيميائيات لمختلف مظاهر الحياة الإنسانية إذ تتلمس مقاربة المعنى ومطاردته، فإنها لم تغفل المسرح على اعتبار أنه " الفن الذي نستطيع التواصل فيه مع الأحداث عن قرب، فنحس وكأننا داخل القصة الممثلة، إنه كما يقول عنه **جلين ويلسون** كغيره من الفنون ومن باقي مجالات الحياة ميدان خصب للاستماع والإفادة"[2] .

فالمسرح يحبل بالأنساق العلامية الدالة التي جعلته عرضة للنقد والمكاشفة منذ أرسطو، ولاحقا في إطار المناهج السيميائية صار هدفا لمجموعة من هذه الأبحاث القمينة بالكشف عن كيفية انبناء المعنى داخله، خاصة أن سيميائيات المسرح باعتبارها وليدة مجموعة من التفاعلات التي

1- Mohamed KRAFESS, Eugene O'neill's Philosophy In *Long Day's Journey Into Night*, LAP publishing, Saarbrucken, Germany, 2011, p: 5.

2 - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 102.

تمت على مستوى مدرسة **براغ** وإرث الشكلانيين الروس، هي "منهج ينصب على تحليل النصوص/أو العرض، ويهتم بالتنظيم الشكلي للنص أو الفرجة وكذا التنظيم الداخلي للأنساق الدالة التي يتألف منها النص والفرجة،كما يعنى بدينامية سيرورة الدلالة، وبإنتاج المعنى بواسطة تدخل الممارسين والجمهور... فالسيميولوجيا لا تهتم بالكشف عن المعنى (و هو مجال اهتمام الهرمينوطيقا والنقد الأدبي) بل تهتم بنمط إنتاج المعنى عبر العملية المسرحية التي تمتد من قراءة المخرج للنص وصولا إلى النشاط التأويلي للمتفرج" [1].

لذلك، فإن فالعلاقة في الخطاب المسرحي شائكة من حيث الاختلاف الإوالي بين النص والعرض وطبيعة الأنساق العلامية داخله، حيث أن المفروض في المنهج السيميائي أن يقارب الشكلنة التمثيلية للمعنى في إطار العرض المسرحي وكيفية سيرورته. وكما يذهب إلى ذلك الباحث الجزائري **فيصل الأحمر**، فقد اعتبرت الثلاثينيات منطلقا بارزا للسيميائيات المسرحية من خلال دراستين هما: ""جماليات فن المسرح" "لأوثار **زيخ**" و"محاولة لتحليل بنائي لظاهرة الممثل" **لجان موكاروفسكي**، وهما الكتابان اللذان بنيا على توجيهات بنيويي مدرسة براغ، واعتبرت دراسة موكاروفسكي أولى الخطوات في سيميائيات العرض والتي ستنضاف إلى توجيهات الشكلانيين الروس وتقدم للدارسين السيميوطيقيين للمسرح منهجا سيميائيا يعتبر "العرض المسرحي وحدة سيميوطيقية، فالعرض دال ومدلوله هو الموضوع

---

1 - باتريس بافيس، قضايا السيميولوجيا المسرحية، تر. محمد العماري، مجلة علامات، مكناس/المغرب، عدد 16، 2001،ص 102.

الجمالي الكامن في الوعي الجماعي عند الجمهور"[1]، وهي بؤرة تعود إلى المذهب السوسيري البنيوي، والذي لم تستطع الاتجاهات السيميائية الأوربية إلى تلكم اللحظة التخلص من العباءة اللسنية التي أسستها قاعدة سوسير في مطلع القرن العشرين.

1- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 103.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧✧——————————

2-5-2- **سيميائيات السينما**:

بخلاف المسرح الذي يضرب بجذوره في أعماق التاريخ الكوني القديم، ويرتبط ارتباطا جوهريا بمخزون الذاكرة الثقافية الجمعية، فإن السينما بما هي فن حديث، قد أثار هو الآخر شهية السيميائيين الذين انساقوا وراء الخصوبة الدلالية التي يحبل بها هذا المجال، حيث الأبعاد اللسانية المتفسخة في أشكال فوق-لسنية تعتمد اللون والصورة والترميز المتحرك، إضافة إلى مجموعة من التقنيات، قد أفرزت لنا علامات من فصيلة أخرى، مما حتم بالضرورة ظهور ما يسميه النقاد بسيميائيات السينما.

وقد اهتم **كريستيان ميتز** (1931-1993) كثيرا بالسينما، مما جعله يتبوأ صدارة سيميائي هذا الاتجاه " حيث هدف ابتداء من 1967 إلى وضع منهجية وتطويرها، وتطبيقها على شريط الرواية الخيالية مستعيرا قواعد السيميائيات، فدرس ترابط الشريط السينمائي وأحداثه، ثم درس الخدعة السينمائية وقسمها إلى ثلاثة مستويات: الأول على مستوى الكاميرا (التقاط الصورة) ثم على مستوى المشهد السينمائي (عمل الممثلين) وأخيرا على مستوى تركيب الفيلم الذي يمكن من تصنيف الحمولة الدلالية للخدعة السينمائية"[1]، وبذلك أضحت السينما مجالا مستهدفا من طرف السيميائيين الذين درسوا لغتها وحللوا رمزية الوظائف داخل الفيلم وقدموا تحليلات للعلامات اللسنية وغير اللسنية (إشارات وإيماءات ولغات بصرية)، وهي أبحاث تروم استكناه الخصائص المهمة في هذا الشكل التعبيري الإنساني الحديث.

1- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 109.

وحتى يضطلع التحليل السيميوطيقي بمهمته على أكمل وجه في مجال السينما، فقد انشغل بدراسة الحركية الإيمائية و"الكوريكرافية" لأجساد الممثلين بما هي لغة تصاحب فعل تحريك الصور، وهو الفرق الجوهري بين رصد الحركة في الصورة سينمائيا ورصد الحركة الجامدة في سيميائيات الصورة عموما، لأنه لا يمكن أن نقارب الصورتين معا بنفس العدة وبنفس التصور، على اعتبار أن السينما هي مجال الاشتغال الفيلمي المرتكز على المشاهد واللقطات المتحركة، في حين أن الصورة (فنية كانت أو فوتوغرافية) تسعى إلى تقديم خطاب في حالة سكون بصري.

فالحركية وحدها داخل المجال البصري تتطلب منا الانتباه إلى الأبعاد الفلسفية والجمالية لكل ما تؤطره الكاميرا والتي تصيرها هنا عينا منفتحة لتَصَيُّد الفضاءات الخاصة والخلفيات المميزة، والتي تستبطن كلها لغات مشفرة تسعى السيميائيات إلى تفكيك لغاتها المتمثلة في " الصورة المتحركة إذ نجدها أبرز خاصية في السينما إذ لها دلالات وإيحاءات خاصة تظهر من خلال خاصية التعيين والقيام بالخداع "[1] في سبيل الإيهام بواقعية الأحداث وإضفاء الصدقية عليها.

- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 110. 1

✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————————

6-2-**سيميائيات الأهواء**:

نتطلق في هذا المبحث لنجوب عوالم خاصة من الدرس السيميائي من حيث مقاربته لجانب حسي محض، هو ما يطلق عليه النقاد ب"**سيميائيات الأهواء**" "Sémiotique des passions"، والتي استطاعت سبر أغوار مظلمة ومنسية من حياة الإنسان، على الأقل من خلال الانفتاح على الهواجس النفسية والمرتبطة أساسا بالأحاسيس والشعور، والحالات التي تكون عليها النفس/ الحس في مختلف تجلياتها الحسية من غضب وفرح وشعور باللذة وتحكم خارجي في العواطف وما إلى ذلك، نظرا لأن الأهواء (و هي جمع هوى) تشكل خصوصية متفردة في حياة الكائن البشري وتتقاطع هذه التجليات سواء مع عوالم الإثارة والعوالم الحميمية الضيقة.

لقد حاولت السيميائيات أن تغزو هذه العوالم الغابرة من حياة الإنسان وأن تبحث في تلغيزاتها، خاصة أن النظرية السيميائية العامة تقدم نفسها - حسب أصحابها- كمنهج بديل عن المناهج السياقية والتاريخية المشتغلة على مختلف أنساق التعبير الإنساني. فالإنسان كائن يحيا بخصوصياته الأنطلوجية الفردية وسط "حيوات" جمعية تشكلها أنساق العلامة التي تبقى دائما عرضة للتكون وتغيير الجلد بحكم تغاير إيقاع ونمط الثقافة الإنسانية، وبحكم ظهور تورطات جديدة للذات في مفاهيم القيم والسلوك التي تحاول عبثا الانسلاخ من سيطرة الإيديولوجيات والعبور إلى مرتبة النقاء والتماهي مع رغبة الذات والأحاسيس، بغض النظر عن ماهيتها إذا ما كانت إحساسا بالدفء والأمل أو إحساسا بالألم والمعاناة. فسيميائيات الأهواء " مازالت تبحث عن تعزيز مكانتها داخل النظرية

السيميائية العامة، وتحصين تراكماتها ونتائجها للتدليل على استقلالية البعد الانفعالي... ويعرف هذا الصنف من السيميائيات بأسماء أخرى على نحو السيميائية التوترية والسيميائية الاتصالية وسيميائية المحسوس" [1]، وهي بذلك مجال اقتحم عوالم "النفس" بعدما انفتحت عليها العلوم المعرفية بشتى تلاوينها، ومن ضمنها مثلا الفلسفة.

وقد يقول قائل أن الإنسان بما هو كائن "عاقل" ليس للأهواء ملاذ في كينونته وفي تفكيره العاقل، والحال أن الهوى قد شغل المفكرين والمناطقة والفقهاء (بالمفهوم التقليدي)،كما أن **أفلاطون** أظهر" أن العقل محتاج إلى الهوى لإثبات ذاته، وأبرز **أرسطو** أن الأهواء تلعب دورا مهما في الكشف عن الاختلافات البشرية وتضعيف الوعي إلى كينونتين تنزعان إلى التوافق أو التعارض، ويقترن الهوى عند **سانت أوغست** S.August بتعذر الخلاص، ويفيد عند **ديكارت** والفلاسفة المعاصرين تغير وضعية الإنسان بسبب وحدانيته وفرديته"[2]. المهم من هذا الكلام أن الأهواء كانت ولا تزال محط اهتمام الفلاسفة القدامى كما المفكرين والسيميائيين، حيث أولوها درجة خاصة لما تحتله من حساسية ضمن مكونات شخصية الإنسان عامة، وهذه الدراسات المنبنية على أسس فلسفية تنطلق من فرضيات أخلاقية وقاعدية ترفض الانصياع لرغبات الذات وتبحث في ما يجعل التطويع أمرا ممكنا قصد الحفاظ على توازنات هذه الذات وحمايتها من الانزلاقات. فبعض هذه الدراسات " تجمع على

1- محمد الداهي، سيميائية الأهواء، مجلة عالم الفكر، العدد 3، المجلد 35، يناير/مارس 2007،الكويت، ص 214

2- المرجع والصفحة نفسهما .

شجب الهوى لأنه العماء Chaos الذي يهدد ما هو جوهري في الكون على نحو النظام والحركة المتسمين بالانسجام والتناغم"[1]، وتقف بهذه المقاربة موقفا سلبيا من الهوى باعتباره يقابل كل ما هو عاطفي وسلبي، ويناقض المنطق الذي يتأسس على فعالية ايجابية عقلانية لا تنساق إلى "خطية" الطبيعة ومستلزمات الشهوة المحرك الأساس لأهواء النفس.

وعلى المستوى السيميائي اضطلعت الأهواء باهتمام بعض السيميائيين الذين نزعوا في مشاريعهم الفكرية إلى مقاربة بعض أشكالها وتجلياتها (فرحا وألما)، محاولين في سياق معين إيجاد تفسير لهذا الجانب المظلم من حياة الناس كما اهتمت به علوم وحقول معرفية ودلالية أخرى يضيق المجال للحديث عنها هنا. ومن السيميائيين الذين اضطلعوا بدراسة الأهواء نجد كلا من **هرمان باريت** Herman Parret **وكريماس** Greimas **وجاك فونتاني** Jack Fontanille **وآن هينو** Anne Henaultالذين شكلوا هذا الاتجاه، لاسيما مع كريماس الذي اشتغل في جانب آخر بسيميائيات العمل وأثبتت التجارب نقصها على عدة مستويات.

فما يهمنا بالأساس خلال هذا الفرش النظري المحض أن نقدم صورة شمولية عن الاتجاهات السيميائية المختلفة ولسنا مطالبين بحكم طبيعة الدراسة بالتفصيل كثيرا في هذه الاتجاهات على اعتبار أنها متشعبة ولا يستطيع هذا الكتاب المتواضع مقاربتها في هذا الحيز الضيق من جهة، ومن جهة أخرى على اعتبار الالتزام المنهجي الذي يؤطر البحث السيميائي ويحتم على الباحث تحري الدقة في توظيف المصطلحات وتنزيل المفاهيم .

1 - محمد الداهي، سيميائية الأهواء ص: 214

وعودة إلى سيميائيات الأهواء فقد قام هرمان باريت بمقاربة الهوى من "منظور فلسفة اللغة مركزا على البعد التلفظي وشروط إنتاج الخطاب"[1] في إطاره التداولي، و"أعاد النظر في بناء البعد الانفعالي من خلال مختلف مستوياتهو تجليه... من زاوية سيميائية لتحديد العلاقة بين الذات المستهوية والموضوع المنشود وبيان خصوصيتها وقيامها على المقصدية وتميزها بالاتجاهية ... بزمنية تكون في الغالب معقدة"[2]، بحكم انطوائها على الافتراض المستقبلي أو الرجوع في الذاكرة المستفيضة.

لقد انشغلت سيميائية **باريت** بمقاربة أنواع خاصة من "الهوى" بما فيها أحاسيس الحب والإعجاب وأضدادها كالكراهية والتحقير الخ.. إلا أن أهم تبلور لسيميائية الأهواء لم يكن ليتأسس إلا على يد **كريماس** وزميله **فونتاني** في تطور مغاير عن اتجاه سيميائية العمل، حيث أصدر الاثنان كتابا تحت عنوان "سيميائية الأهواء"، وهو الذي يعد في الغرب مرجعا أساسا لفهم الأسس والخلفية التي يقوم عليها هذا الاتجاه، كما أنه أثار بشكل مستفيض الخصوصيات التي يقوم عليها ويختلف من خلالها عن سيميائية العمل ويشكل لنفسه محور دوران خاص به ضمن النظرية السيميوطيقية العامة. وإذا كان هرمان باريت قد قارب الأهواء بما هي خطاب يدخل في نسق تداولي ومعرفي، فإن كريماس وفونتاني قد أخضعا الأهواء إلى "سميأة" مستميزة من حيث قدرتها على مقاربة البعد الانفعالي للأهواء، مثلما كان الهدف من وراء مشروعهما المشترك" التدليل على استقلالية وملاءمة البعد الذي يهم إثارة الانفعال، والبحث له عن موضع ملائم داخل المسار التوليدي العام.

1- محمد الداهي، سيميائية الأهواء، ص 221.

2 - المرجع نفسه، ص 222.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————

لقد أعطت سيميائية العمل أهمية كبيرة للتحول والعامل، ولم تول أدنى اهتمام للحالة التي تعتبرها الذات الفاعلة إما بداية للعمل وإما نهاية له" [1].

إذن تولدت لدى كريماس رغبة في إيجاد توازن يستطيع من خلاله سبر أغوار الحالات النفسية "للعوامل"، حينما تحس وتشعر وتتحرك داخلها بواطن الغريزة ومختلف الأحاسيس بما فيها الغضب/الشر والأمومة وأواصر العاطفة الجياشة وتبعات الحزن والفرح وغيرها، وهي التي ترقى بالذات إلى مستوى تجاوز "الجمود"، وتلقي ىالتأثير المحدث في إطار إحداثيات يضمنها العالم الذي تنتمي إليه. إنه نوع من التحقق والإحساس بطعم الوجود من خلال ممارسة هوى معين بعيدا عن الجانب المعرفي الذي "يَقْصُرُ" وظيفيا في بعض الأحيان عن أداء مهمة الذات في التعبير عن وجودها.

وبقيت سيميائية الأهواء الكريماسية نظريا تحوم حول علاقة الحالة الإنسية بحالة الأشياء داخل العالم إلى أن انتقلت إلى الجوانب الإجرائية من خلال عملها على تجاوز "الشح" الدلائلي الذي تورطت فيه سيميائية العمل في تقوقعها على جوانب الشكل والمضمون المعرفيين، وهو ما تمثل بالخصوص في قيام كريماس وفونتاني بالاشتغال تطبيقيا مثلا على هوى " البخل الذي يتجسد كهوى الموضوع، ويصبح هوى بين-ذاتي ... في حالة التقويم الأخلاقي والغيرة التي تتجلى في الهوى البين-ذاتي... وانطلقا من معاينة وتحليل الخطابات المنجزة (خطاب المعجم وخطاب علماء الأخلاق، والخطاب الأدبي)" [2]. ونفس المقاربة تنطبق على هوى الغيرة .

1- محود الداهين سيميائية الأهواء ،ص 228.

2- المرجع نفسه ء، ص 231.

لقد قارب كريماس وفونتاني الأهواء من زاوية سيميائية، حاولا من خلالها استكناه عوالم الجانب الانفعالي من الذات والعمل على إيجاد صيغ و"نحو" خاص يقترب من النحو "العاملي" في سيميائية العمل لكنه يختلف عنه طبعا، ثم أرادا من وراء ذلك تفسير الحالات النفسية وربطها بإواليات غير معرفية متحكمة في ما هو غير عقلي وغير منطقي.

وعلى مستوى آخر، وإذا كان هرمان باريت قد حدد سيميائية الأهواء في بعد تداولي للخطاب وأعاد "سميأة" البعد الانفعالي داخل إطاره التداولي، فإن **آن هينو**، وجريا على النهج الكريماسي الذي ذكرناه قبل قليل قاربت " السلطة بوصفها هوى- تمييزا بين مجال العمل ومجال الهوى؛ يقتضي مجال العمل موقفا واعيا محددا بواسطة المعرفة التي تعالج المواضيع منفصلة عن الذات، وتشيد العمل المبرمج..و عكس ذلك، يتولد المحسوس من خلال قبول الحدث/أو التقزز منه،فعندما نحس تتقلص المسافة بين الأنا والعالم"[1].

إنه رغم الفصل النظري بين سيميائية العمل وسيميائية الأهواء التي نَظَّر لها كل من **كريماس وفونتاني وهينو**، جدير بالذكر أن كريماس نفسه عاد وتحدث عن وجود تداخل بينهما من حيث استحالة المقاربة العاملية مثلا للعوامل دون الاهتمام بالحالات النفسية التي تنتابها في البعد الانفعالي، وهو ما تم إغفاله بداية وتم تداركه لاحقا. ورغم ذلك فإن سيميائيات الأهواء لم تصل بعد - وحسب بول ريكور- إلى مستوى تقعيدي "براديغمي" يشبه البناء العاملي مثلا بشكل يجعلها قابلة للتعميم على كل الأهواء (رغم إنتاجات هرمان باريت في هذا المجال) لما فيها من خصوصيات ثقافية وتداخلات على المستوى "الجهاتي" والتركيبي.

1- محمد الداهي، سيميائية الأهواء، ص 234.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————————

3)- **المدرسة الأمريكية و "السيميوطيقا"**:

بورس وموريس نموذجا:

3-1- **"سيميوطيقا" شارلساندرس بورس**:

كما سبقت الإشارة إلى ذلك تنهض السيميائيات المعاصرة على مجموعة من الموروثات النظرية والمعرفية التي راكمها الإنسان خلال سعيه لفهم علاقة المعنى والفعل الإنساني فلسفيا وعلميا و"فانيروسكوبيا" بتعبير الفيلسوف الأمريكي ش.س بورس (1839-1914)، ومن خلال علاقة الكائن العاقل الحربائية بالمحيط والموجودات التي تتقاسم معه فلسفة الوجود وتتعايش معه في إطار وضعاني فوق طبيعي أو في إطار ثقافي يحايث وظائف كنوز الطبيعة العذراء بالمفهوم الإناسي ويستخرج منها دلالة العلامات ويتواضع على بعضها لكي تنتظم مملكة المعنى على الأقل في هذا الوضع الدياكروني بالمفهوم السوسيري ويتنازل معها المعنى عن الضبابية والانفلات الأبدي من براثن القبض الإنساني ومن مسامات العقل ومجسات الذهن .

إن العلامة بما هي لون من ألوان الدلالة في الوجود الإنساني بؤرة فلسفية عميقة قد يختزن فيها الكائن البشري أنساقه التواصلية والدلالية والثقافية كما نظرت لذلك المدرسة الأوربية سليلة السيميولوجيا اللسانية السوسيرية مثلما قد يعتبرها الفلاسفة – وهذا ما ذهب إليه الفيلسوف الأمريكي بورس - أساسا لفهم "أقانيم" هذا الوجود ومحاولة دفعه لفهم دلالته الترميزية ووعي إحداثيات وجوده بالمفهوم الأنطلوجي بعد الوجود المطلق بتعبير ابن عربي ولكي يحس الإنسان بتفرده

✧✧✧✧✧✧✧✧✧ ─────────────

داخل منظومة الكائنات الأخرى التي تنتج بدورها علامات منوجدة أصلا في ذاتها هي علامات حيوانية/ طبيعية .

من هذا المنطلق إذن فـ"السيميوطيقا" بما هي مقاربة فلسفية متعالية وفوق-لسنية للعلامة التي تنتجها دلالة الوجود الإنساني ليست وليدة اليوم أو البارحة كما يتصور بعض المنقطعين عن سيرورة التاريخ أو بعض الحداثيين الذين يتصورون السيميوطيقا نزوة فلسفية طائشة لا أصل لها، والحال أن التراث الفكري والفلسفي العالمي يزخر بكنوز سيميائية متناثرة هنا وهناك في شتى المجالات المعرفية تلتقي مع هذا النهج السيميائي ولا تحتاج إلا إلى من يخرجها من دهاليز المتاهة لأجل خلخلة بنية الوعي الماضوي والدفع إلى استقواء عروة الاتصال بهذه الذاكرة العلاماتية الذي تتجذر فيها هوية الكائن الإنساني عامة .

ولذلك، فالتاريخان الحديث والمعاصر استفادا كثيرا من هذه الرجعات المتتالية في الزمن الثقافي والفكري حيث أحدث مجموعة من الفلاسفة والدارسين رجات كوبيرنيكية وتوجهات مغايرة للبحث في العلامة ومحاولة توجيه الفكر بشتى تلاوينه لدراستها وخلق وعي جديد بأهميتها القصوى وضرورة التعمق في فهم كيفية وجودها وسر انكشافها. فقد أخذت بعض التيارات المعاصرة على عاتقها النهوض بهذه المهمة المستعصية لأجل فك طلاسم العلامة ومقاربتها من زوايا ومنظورات فكرية مغايرة بحيث كانت دراسات سوسير في أوربا مشتلا رائدا في التمهيد للتفكير الرئيس في العلامة من منظور المشتغل اللساني الذي توالت بعده تيارات أخرى انزاحت قليلا عن السياق اللسني لكنها بقيت حبيسة العلامة لسانيا ولم تبتعد عن مجال اللغة من منظورها الوصفي إلا مع تياري سيميولوجيا " الدلالة " و"الثقافة".

✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————————

في نفس الوقت وفي جهة أخرى من العالم كانت تحاك في الغرب الأمريكي نظرية جديدة تروم التفكير في العلامة من وجهة مغايرة تماما للتوجه الأوروبي ذي القاعدة اللسنية. فقد قام الفيلسوف الذرائعي الأمريكي **شارل سندرس بورس** بسن نظرية مغايرة للعلامة سماها ب"السيميوطيقا"، وحسب تعريفه فـ " المنطق في معناه العام ،ليس سوى تسمية أخرى للسيميائيات،تلك النظرية شبه الضرورية والشكلية للعلامات "[1]، وهذه المقاربة يبنيها على أسس فلسفية وفكرية عميقة تنظر إلى العلامة من منطلق رياضي ظاهراتي ذي بعد ثلاثي وليس ثنائي كما فعل **سوسير** .

في هذا المحور سنسعى إلى تقديم أرضية نظرية تروم قراءة سيميوطيقا بورس من خلال بسط الخلفية الابستيمولوجية التي تنطلق منها فلسفته ذات الأسس المقولية الثلاث ومن خلال العمل كذلك على تقديم تصوره للعلامة ومختلف أبعادها وتفريعاتها كما سنحاور بعض خصوصيات سيرورة التدلال (السيميوزيس) وبعدها التأويلي.

1- سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن، سلسلة شرفات 11، الدار البيضاء، 2003 ،ص 58.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————

3-1-أ)- **شارل.س.بــورس وزمنه**:

تميز القرن التاسع عشر بثورة فكرية وأدبية حقيقية امتدت لتشمل مجموعة مـن منـاطق العـالم منطلقـة مـن الحـراك الاجتمـاعي والثقـافي الـذي شمـل أوربـا بالخصوص ليمتد إلى الولايات المتحدة التي كانت قد خرجت لتوها من الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب (ستينيات القرن 19) والتي يعتبرها البعض بمثابة علامة فارقة في التاريخ الأمريكي الحديث . هذا السياق السياسي وازته حركة أدبية وفكرية مغايرة تماما لما ظهر في الغرب الأوربي حيث أعطى ذلك بداية انطلاقة حقيقية لبداية تشكل فلسفة جديدة هي الذرائعية الواقعية كثمرة لمجهود كبير قام به **شارل ساندرس بورس** منطلقا مما راكمه من قراءاته العميقة لفلسفات أفلاطون وأرسطو وهوسرل وكانط ومؤسسا لمنهج فلسفي مغاير سيعمل على تطعيمه مجموعة من الفلاسفة والمفكرين الأمريكيين خاصة **وليم جيمس** و**جون ديوي** كتيار جديد في الذرائعية وفيما بعد **تشارلز موريس** كأهم "الشراح" للمقاربة البورسية للعلامة ذات المنطلق المنطقي/الفلسفي.

في خضم هذه الانزياحات الفكرية والتيارات الجديدة التي ظهرت إضافة إلى أعمال المفكرين **وليم جيمس وجون ديوي** تأسست منطلقات جديدة للتفكير الأدبي والنقدي العميق لدى نخبة من الأدباء مثل **إدغار ألان بو، هيرمان ميلفيل، مارك توين، هنري جيمس ووالت ويتمان** وآخرين، غير أن ما يهمنا في هذه الورقة بالأخص هو بورس وفلسفته الذرائعية التي بناها على أسس رياضية ومنطقية وفلسفية وهي نظرية متكاملة تقوم على مقاربة "**فانيروسكوبية** " للإدراك وللوعي مثلما تعتبر أن كل المجالات المعرفية يجب إخضاعها إلى أسس المقاربة السيميوطيقية.

لقد تأثر بورس بالمناخ الفكري الذي سمحت به الفلسفة ما بعد الكانطية واختلاطها بالعلم وانمحاء الحدود الفاصلة بينها وبين التجربة من خلال تكون النزعة التجريبية للفلسفة ذاتها، وهي معطيات استفاد منها بورس مثلما استفاد من الميل الأمريكي نحو الديمقراطية في مرحلة ما بعد الحرب الأهلية والثقافة الأمريكية الناهضة، وفي المناخ العام آنذاك" قبل البراجماتيون... (المنهج العلمي- النزعة التجريبية الفلسفية- البيولوجيا الفلسفية-البيولوجيا التطورية والمثال الديمقراطي) التي أصبحت تشكل نسيج "الإشكالية" التي أبرزتها المشكلات الفلسفية للبرجماتية الأمريكية... لقد تكون هذا النسيج من تلك الملامح الأربعة معا، يمكن أن تميز اتجاه تطورها الفلسفي. وقد أثرت هذه العناصر الأربعة على معظم البرجماتيين ولكن بدرجات متفاوتة ،فكان تأثير المنهج العلمي أكثر وضوحا عند تشارلز بيرس "[1].

وقد بلور بورس، في إطار ذلك، نظرية سيميوطيقية شاملة للعلامة، تقوم على أساس علمي منطقي محض تختلف عن المقاربة العلاماتية اللسانية الضيقة التي تنظر إليها من جانب لسني فقط، والسبب راجع بالأساس إلى الخلفية النظرية الفلسفية والعلمية التي طبعت التصور البورسي .

- تشارلز موريس، رواد الفلسفة الأمريكية، ترجمة د. إبراهيم مصطفى إبراهيم، منشورات شباب الجامعة، الإسكندرية، 1996، ص 17. 1

✧✧✧✧✧✧✧✧✧✧

3-1-ب)- الخلفية النظرية لسيميوطيقا .س.بـــورس:

عكس خلفية سوسير النظرية المنطلقة أساسا من نظرة "دوركهايمية" لغوية للعلامة، ينطلق **بورس** من خلفية نظرية مغايرة تستند إلى المنطق والعلوم التجريبية والرياضيات وتمتد إلى التراث الفلسفي العالمي لتقسم العلامة إلى ثلاث مكونات وليس إلى مكونين، وهو ما بلورته قديما المدرسة الرواقية التي تطورت مع زينون ومن تبعه باعتبارهم منحدرين من أصول فينيقية كنعانية يعملون بأثينا وبالتالي آمنوا باختلاف اللغات على المستوى الصوتي، في الوقت الذي تقتسم فيه هذه اللغات نفس التصور الذهني للشيء بمقاربته وفق تصور سابق سنه أرسطو حول وجود المعرفة بالقوة لدى الإنسان كتصور مفهومي "مايكروكوزمي" مُرَمّز حول العالم قبل مرورها إلى الوجود بالفعل.

وقد كانت لبورس منذ سنواته المبكرة نافذة مفتوحة على كانط وفلسفته الظاهرية التي تأثر بها في وقت مبكر لكنه ما فتئ أن تراجع عن تبني بعض أطروحات تلك الفلسفة وحاول تبني بعض عناصرها من خلال دمج أطروحتها الظاهراتية المنحدرة خارج مملكة العقل الخالص والإدراك في إطار نزعة ذرائعية استمرارية وواقعية غير جامدة ترفض النزعة الأحادية والثانوية وتعتبر المعرفة سيرورة في الأشياء واستمرارا تفاعليا معها، وتشكل دراسة سيميوطيقية صالحة لكل علم ومجال معرفي. من جهة أخرى " تحيلنا ثنايا الكتب إلى الخلفية الأفلاطونية الأرسطية الكانطية للسيميائيات الأمريكية وخاصة سيميائية بورس، الذي قام بمراجعة مقولات "أرسطو " و"كانط" ثم خلص إلى تصوره الثلاثي للعلامة، كما أفاد من معلوماته الرياضية والعلمية "[1].

---

1 - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 48.

وحسب جيل دولوز "إن الأطروحة الكانطية هي التالية: تخضع الظاهرات بالضرورة للمقولات إلى حد أننا نكون، بواسطة المقولات، مشرعي الطبيعة الحقيقيين.. إن الظاهرات هي ما يظهر والظهور هو الوجود مباشرة في الحيز وفي الزمن "[1]. هذه النظرة الكانطية التي تبلورت في كتابه " نقد العقل الخالص" أثرت بشكل كبير في فلسفة بورس في مرحلة مبكرة جدا من تصوره النظري وطبعت إحدى المراحل الثلاث التي سيستمد منها الفيلسوف أسس نظريته إضافة إلى نظرية المنطقي "دومركان" وغيره.

ولذلك فقد مر بورس بمرحلتين حاسمتين في حياته الفكرية: مرحلة مثالية وواقعية.

. 1- جيل دولوز، فلسفة كانط النقدية، تر. أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة 1، 1997، ص 29.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧

3-1-ب/1 -المرحلة المثالية:

تميزت هذه الفترة من حياة بورس الفكرية بانقسامها بدورها إلى ثلاث حقب يجملها كما يلي:

أ) الحقبة الكانطية (1855-1870):

خلال هذه المرحلة عمل بورس على النهل من فلسفة **إيمانويل كانط** المؤسسة على نقد العقل والعمل على مراجعة مقولاته " كالعلاقة والكمية والكيفية والجهة وهي مستمدة أساسا من منطق أرسطو ... ثم اختار منها ما يناسب نظريته ... وقد درس بورس فلسفة كانط عدة سنوات وأعجب بفكرة "نقد العقل الخالص" وتبناها "[1]، ثم عمل على استنباط فكرة النحو الخالص منها فيما بعد وهي المرحلة التي يمكن اعتبارها بالفترة الجنينية لبناء التصور السيميوطيقي لدى **بورس**.

ب) الحقبة الرياضية المنطقية (1870-1887):

خلال هذه المرحلة عمل بورس على الانفتاح على مجال معرفي موسع هو المنطق من خلال كتابات المنطقي "**دومركان**" والفيلسوف "**دوبول**" خاصة فلسفته القائمة على ضرورة وجود علاقة بين أطراف ثلاثة وهذه الثلاثية هي ما ارتكزت عليها فيما بعد نظريته، ولذلك نجد بورس يحيل على سبب ميله إلى هذا المنحى حينما يعتبر أن:

"Every science has a mathematical part, a branch of work that the mathematician is called in to do."

1- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 49/48.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————

" كل علم يضم جانبا رياضيا وفرعا من العمل يُطلب من العالم الرياضي القيام به"[1].

ج) الحقبة التطورية/السيميوطيقية (1887-1904):

خلال هذه المرحلة سعى **بورس** إلى بلورة منهج ظاهراتي جديد سماه "الفانيروسكوبيا" وهي ظاهراتية تختلف عن ظاهراتية **هوسرل** و**كانط** من حيث أنها كما يقول بورس نفسه " وصف ما ،لما هو أمام العقل أو في الوعي وفق ما يبدو في مختلف أنواع الوعي "[2]، وهذا المنهج الظاهراتي البورسي ينطلق من الرياضيات باعتبارها المجال العلمي الذي يسمح بالانتقال من مستوى التمثل/التجريد إلى المادة، وتصوره لا ينظر فقط إلى العلامات اللغوية وفوق اللغوية كما فعلت المدرسة الأوربية، بل يتعدى ذلك إلى التأمل فلسفيا في منظومة الوجود من منطلق ثلاثي للعلامة.

" لقد تصور انتظاما كونيا (كوسمولوجيا) إذ رآه سيرورة متصلة من العماء إلى النظام ومن لعبة المصادفة إلى قاعدة القانون كما يرى جوزيف ل.إسبوسيتو ... وقد رفض نتيجة لذلك مبدأ الواحدية القائل بأن الحقيقة كل عضوي واحد، وأن الإنسان إما عقل وإما مادة، كما عارض مبدأ الثنائية الذي يرى أن العالم قائم على مبدأين متعارضين كالخير والشر"[3]. بهذا التصور يكون بورس حسب د.فيصل الأحمر قريبا من المثالية الأفلاطونية والتيارات الفلسفية التي سبح في أحضانها

---

1 - Charles S. Peirce , The collected Papers ,Harvard University Pres Cambridge MA, US, electronic Edition,VI, Paragraph 133, p: 57.

2- عبد اللطيف محفوظ، آليات إنتاج النص الروائي، منشورات القلم المغربي،الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2006، ص 26.

3 - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 49.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————————

والمعتبرة " أن نسق الطبيعة مساوق لنسق الأفكار .. وفكرة المساوقة تتبنى على أن كل شيء ظاهري خارج الكون ما هو إلا تمظهر لذواتنا "[1]، وهو تصور سرعان ما ينقلب عليه بورس مع تطور فلسفته الاستمرارية الواقعية والذرائعية المسماة "السينيشيزم"، ليطرح فيما بعد سؤالا محوريا حول ما إذا كانت الأفكار توجد في الإنسان أم أن الإنسان هو الذي يوجد في الأفكار وهذا التوجه هو البكرة الفلسفية التي سيعمل من خلالها بورس على إعادة تدوير نظرته للعالم على ضوء الإيغال في مفهوم لانهائية الدلالة ومطاردة المعنى.

- المرجع نفسه، ص 1.50

✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————————

3-1-ب/ 2- المرحلة الواقعية:

كما أسلفت الذكر فقد تأثر بورس في وقت سابق بالتصور الكانطي حول مفهوم العمل انطلاقا من إعمال العقل التجريبي بدل الحدس" النفساوي" المشبع لدى ديكارت، غير أنه ينطلق من الرياضيات باعتبارها الأرضية القادرة على الجمع بين المجرد والمحسوس وباعتبارها الوجه العملي للبرهنة المنطقية مثلما أن ذلك جعله يقيم "ترابطا بين المعرفة العقلية والغاية العقلية، فأراد الوصول إلى معنى الكلمات والمفاهيم بطريقة منهجية فاقترح قواعد قائمة على الهدم والبناء ؛فالهدم يتمثل في إبعاده لكل الفلسفات المزيفة والمسائل الميتافيزيقية، أما البناء فهو اقتراح حلول للمسائل الفلسفية الحقيقية معتمدا الملاحظة والاستقراء والعلمية والتجريبية". [1]

و قد غذى بورس نظريته خلال هذه المرحلة الأخيرة من حياته الفكرية بعصارة نضجه الفلسفي وجمعه لمادة خصبة بقيت متناثرة هنا وهناك حتى عملت جامعة هارفارد على نشرها سنة 1931 في إطار أعماله الكاملة المسماة " The Collected Papers ".

هذا التصور المبني على أسس المنطق الرياضي والتجربة بالمفهوم الكانطي سيؤدي ببورس إلى بلورة مقاربة جديدة للمقولات الثلاث التي يجعلها العصب المحوري لنظريته الظاهراتية الذرائعية المنطلقة من الغاية والعادة والمجتمع لتسنين الرموز والقوانين. هذه المقولات الثلاث هي ما يندرج تحت يافطة جهات الوجود الثلاث أو أبعاد الوجود .

1- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص: 50.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————————

3-1- ج) جهات الوجود ومنطق المقولات الثلاث:

تنهض مقولات جهات الوجود الثلاث لدى بورس على التفسير المنطقي للكون وعلى مفهومه الظاهراتي"الفانيرون" المؤسس على أنواع ثلاثة للوعي سيعمل هذا الفيلسوف في المرحلة السيميوطيقية على تطويرها وتعميق البحث فيها على أساس أن الخيط الناظم بين العلوم نفسها يجب أن ينضبط حسب بورس للدراسة السيميائية مهما كانت خلفيته المعرفية والنظرية ،و لذلك تفسير منطقي مادام قد انفتح على مشارب العلوم التجريبية والرياضيات والفلسفة. من هذا المنطلق يبلور بورس تصورا عاما يسميه "الفكروسكوبيا أو "الفانيروسكوبيا" وتعني "دراسة الأفكار ووصفها إذ تتولى بوصفها نظرية قاعدية تحديدا دراسة تلك الأفكار التي تصدر عن التجربة العادية وتتصرف طبيعيا ضمن علاقتها بالحياة اليومية ... فبورس يرى أن صيغ الكينونة لا تخرج عن صور ثلاث أولاها تصورها باستقلالية عن أي شيء آخر، وثانيها تصورها متعالقة مع أي شيء آخر، أما ثالثتها فهي تصور الوساطة التي يتعالق من خلالها الأول بالثاني "[1].

وعلى ذلك الأساس، قسم بورس كلية **الفانيرون** إلى ثلاث مقولات أساسية سنعمل على تحليل كل مقولة بشكل مستقل وربطها بأبعادها السيميوطيقية وهي: الأولانية والثانيانية والثالثانية.

أ) الأولانية:

مقولة الأولانية التي تميز سيميوطيقا بورس ذات أساس فلسفي محض " تعني وجود الشيء في نفسه مرتبطا بشيء وممتدا في الأشياء المادية، أي أنه موضوع/ذات،

1- عبد القادر فهيم الشيباني، معالم السيميائيات العامة: أسسها ومفاهيمها، سيدي بلعباس، الجزائر، 2008 الطبعة 1، ص 80/79.

كما هو دون اعتبار أي شيء آخر، مجرد من مفاهيمه"[1]. هذه المقولة تتركز مثلا من خلال أحاسيس الفرح والألم وغيرها كموجودات مجردة في ذاتها ولكي تتجسد تحتاج إلى مرحلة لاحقة هي التجسيد الواقعي والفعلي، ولذلك فإن " العالم يمثل أمامنا في مرحلة أولى على شكل أحاسيس ونوعيات مفصولة عن أي سياق زمني أو مكاني وهذا ما يشكل مقولة الأولانية. وتشير هذه المقولة إلى الإمكان فقط فلا شيء يوحي بأن معطياتها قد تتحقق في واقعة ما. فالسعادة مثلا قبل أن يكون هناك إنسان سعيد لم تكن سوى حالة شعورية محتملة"[2].

إن هذه المقولة الفانيروسكوبية جزء من التصور البورسي لمفهوم السيرورة الدلالية قد تتحقق وقد لا تتحقق لأنها تقارب الشيء/الفكرة قبل تجسدها في المادة أو في السلوك (الفعل الإنساني)، وهذا التصور يرتبط بمقولة أخرى هي الثانيانية .

ب) الثانيانية:

تنهض هذه المقولة على التجسد الفعلي الفيزيقي أو المجرد للشيء/الفكرة/الشعور، وهي كل ما هو موجود في العالم الخارجي أمام العقل أو في الوعي الذي "يمثل في مرحلة ثانية باعتباره وجودا فعليا يأخذ على عاتقه تجسيد الأحاسيس والنوعيات في وقائع مخصوصة وهو ما يشكل مقولة الثانيانية، وتشير هذه المقولة إلى التحقق الفعلي (رجل سعيد مثلا) "[3]. ليس الأمر هنا سوى تحقق فعلي ومباشر لمقولة الأولانية وإخراجا لها من "خاميتها" الأولى إلى الوجود الفعلي

1 - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 52/51 .

2 - سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2003، ص 59.

3- سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 59.

المباشر في مشرحة الفعل/السلوك الإنساني وقبولها لاحقا لمبدأي القياس والتأويل، وهذا طبعا يحيلنا على مقولة ثالثة هي الثالثانية.

ج) الثالثانية:

إنها مقولة بمثابة قانون تأويلي للتحقق الثانياني الذي يمارس وصاية معينة على الوقائع " في هذه الحالة نكون أمام القانون الذي سيمكننا من التعرف استقبالا على هذه الوقائع وهو ما يتطابق مع مقولة الثالثانية وهي التي تجعلنا نؤول سلوكا ما باعتباره دالا على السعادة لا التعاسة . ويصوغ بورس هذه السيرورة على الشكل التالي: أول يحيل على ثان عبر ثالث "[1].

فالأمر هنا يتعلق بمحاولة إيجاد تفسير من داخل سيرورة الدلالة للعلامة انطلاقا من فرض نسق ثالثاني على الطبيعة وليس انطلاقا منها، ذلك أن الثالثانية هي مرحلة سن القانون الذي تنضبط له مقولة الأولانية باعتبارها مرحلة الممكن تحققه ومرحلة الثانيانية التي تعني مرحلة التحقق الفعلي وهذه المقولات الثلاث هي التي تكون ميكانيزمات الإدراك وهي الرؤية الفلسفية التي ترى في التجربة الإنسانية كيانا منظما يحتاج إلى وساطة فينومينولوجية من العلامات لقيامنا بالتفكير والإدراك .

1 - المرجع والصفحة نفسهما.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧✧——————————————

3-1- د) العلامة عند بورس:

انطلاقا من الخلفية النظرية التي تحدثنا عنها سابقا يعتبر بورس العلامة ذات أبعاد ثلاثية هي الأخرى، تمتح قوتها وفعلها انطلاقا من المقولات الفانيروسكوبية الثلاث للوجود وبذلك فـ"العلامة ماثول (representamen) يحيل على موضوع (objet) عبر مؤول (interprétant). وهذه الحركة (سلسلة الإحالات) هي ما يشكل في نظرية بورس ما يطلق عليه "السيميوز" أي النشاط الترميزي الذي يقود إلى إنتاج الدلالة وتداولها"[1].

إن الإنسان بهذا المعطى يحيا وسط نظام ترميزي من العلامات أو بتعبير بورس نفسه ليست الأفكار هي ما يوجد في الإنسان ولكن الإنسان هو الذي يوجد في الأفكار عبر هذه المقاربة الثلاثية للعلامة والتي تنظر في التجربة الإنسانية كـ"علاقة ثلاثية بين ثلاث علامات فرعية تنتمي بدورها على التوالي إلى الأبعاد الثلاثة "[2] **للماثول والموضوع والمؤول** وتربطها علاقة شائكة:

الماثول

المؤول================الموضوع

فالماثول هو مرحلة الإمكان وأداة التمثيل التي تبحث عن موضوع كمحتضن لتحقق التجسيد عبر وسيط مؤول يسمح بتجلي وانكشاف هذه العلاقة

---

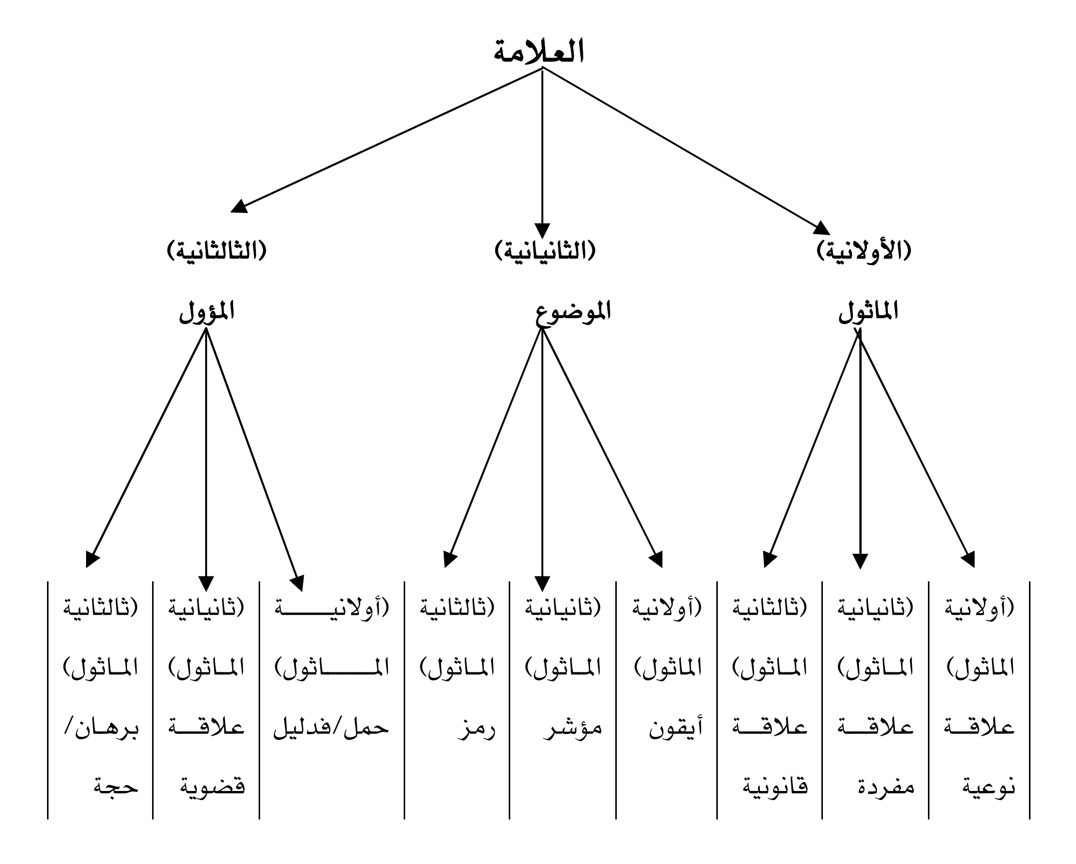
1 - سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2003، ص 61 .

2- جيرار دولودال، السيميائيات أو نظرية العلامات، تر.عبد الرحمن بوعلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، طبعة 1421هـ/2000، رقم 1 ، ص 21.

بين الماثول وموضوعه. وإجمالا يحدد بورس أبعاد العلامة عبر خطاطة تساعية كما في الترسيمة التالية:

مراتب الوجود/ العلامات الجزئية	**الأولانية**	**الثانيانية**	**الثالثانية**
ثلاثية الممثل	ع.نوعية	ع.مفردة	ع.قانون
ثلاثية الموضوع	أيقون	مؤشر	رمز
ثلاثية المؤول	ع. حملية/فدليل	ع.قضوية	ع.برهان

ولتوضيح هذه العلاقات نرسمها وفق تفريعات ثلاثية كما في الخطاطة الشجرية التالية مع العلم أنها قد تخضع للتغيير في بعض أنواع العلامات:



✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————————

1- الماثـــول:

هو بمثابة الوجود الأولاني باعتبار العلامة في ذاتها أو في "خاميتها" أو كما يقول بورس: العلامة "شيء يعوض بالنسبة لشخص ما شيئا ما بأية صفة وبأية طريقة. إنه يخلق عنده علامة موازية أو علامة أكثر تطورا "[1]، وهو بذلك نوع من التمثيل للعلامة قبل وجودها في موضوع معين يتيح لنا التعرف عليها. فالماثول مرتبة الإمكان للشيء قد يتحقق وقد لا يتحقق وله هو الآخر ثلاثة أبعاد أو علاقات أو علامات فرعية:

1.1- علاقة نوعية/ كيفية:

حين يدل بذاته بوصفه نوعية ممكنة مشابهة لموضوع ما مجسد بفضل إدراك شكله كسمة أو صفة لا غير (فدليل/حمل) في البعد الأولاني للمؤول مثل اللوحة التشكيلية أو الرسم البياني أو الصورة.

2.1- علاقة مفردة:

في هذا البعد الثانياني يرتبط الماثول بموضوعه عن طريق علاقة وجودية تجعله يتشكل واقعيا أو من خلال التأشير على الموضوع كطلقة المسدس لدى المتسابقين في ألعاب القوى مثلا والتي تؤشر وجوديا على موضوعها وهو إعطاء انطلاق السباق .

3.1- علاقة قانون (علاقة عرفية):

تُجسد العلامة من خلال علاقة الماثول بالمؤول ولا يرتبط الماثول هنا بأية علاقة لا بذاته ولا بموضوعه على مستوى بناء علاقة عرفية حيث ينطبق ذلك على

---

1 - سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 64.

الأدلة المجردة والأنساق المنظمة . مثلما يمكن لنفس الماثول أن يكون دليلا نوعيا أو مفردا أو عرفيا/قانونا ، ومثال ذلك بقعة صباغية على عماد معين فهي دليل نوعي أولانيا ، ودليل مفرد ثانيانيا إذا ارتبطت بموضوع وجودي (بقع صباغية بالأبيض والأسود على قطعة ثوب) لتؤشر على انطلاق سباق الفورميلا واحد مثلا ، وهي دليل عرفي/قانوني إذا كانت البقعة الصباغية متزامنة مع نسق معين كنسق الأعلام والمؤسسات التجارية أو ما يشبهها.

2) الموضـوع:

هو بمثابة البعد المشكل لمقولة الثانيانية من حيث ارتباط العلامة بموضوع " هو ما يقوم الماثول بتمثيله ، سواء كان هذا الشيء الممثل واقعيا أو متخيلا أو قابلا للتخيل أو لا يمكن تخيله على الإطلاق"[1] ، وقد يكون موضوعا مباشرا فيحيل على معناه بشكل مباشر داخل الدليل وخارج سياق التحيين أو قد يكون موضوعا ديناميكيا حين يرتبط بسياق نصل إليه بواسطة تجربة مناسبة خارج الدليل دائما ونسوق لذلك مثالا في دليل " قلة الجرذان" :

- كموضوع مباشر:

داخل العلامة/ ينتج في الذهن /غير محين.

- كموضوع ديناميكي:

خارج العلامة/ دخول التجربة/ سياق وجودي وثقافي بعيد/ سياق بلاغي/ محين زمانيا ومكانيا/ يحتاج إلى مؤول /منبني على سلسلة علاقات سببية ووجودية: "قلة الجرذان" تشير لانعدام الطعام بالبيت/ كناية عن الفقر.

1- سعيد بنكراد ، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 59.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————

وحسب المقولات البورسية الثلاث ينقسم الموضوع بدوره إلى ثلاث علامات فرعية كما يلي:

1.2- الأيقونة:

ترتبط الأيقونة بوصفها علامة فرعية تحمل بعض أو كل خصائص الموضوع في ذاتها وبذلك "تشير إلى الموضوعة التي تعبر عنها عبر الطبيعة الذاتية للعلامة ...علاقتها هي المشابهة، وهي أيقون جزئي كما الأولانية جزئية مثل اللوحة دون تعليق أو الرسوم البيانية "[1]، مثلما هي وجه التجسيد المحاكي/ المطابق للماثول في موضوع مجسد أولانيا وليس من اللازم إخضاعها إلى مؤول قضوي أو عرفي لتتكينن دلاليا . فالوردة خارج السياق الثقافي لا تدل سوى على ماثول الوجود الطبيعي في البرية/ الحقل الكامن في إمكان الأولانية وحالما نخضعها لسياق عرفي/قانون أو سياق ثقافي كعلاقة بين (أ) و(ب) تصير الوردة خارج سياق الدلالة الأيقونية المحيلة على الماثول إلى الدلالة الرمزية البرهانية للحب على المستويين التأويلي والعرفي .

2.2- المؤشر:

المؤشر علامة تحيل على الموضوع الذي تعنيه لأنها في الواقع متأثرة بهذا الموضوع من حيث أن هذا المؤشر يمتلك بعض الخصائص المشتركة من حيث العلية/السببية مع موضوعه وهي التي تتيح له الإحالة عليه . فالمؤشر إذن هو "حدث ظاهر يدل على حدث آخر غير ظاهر وقد يكون واقعيا أو طبيعيا أو عمليا أو فكريا .ظاهرا أو محسوسا أو متخيلا ومن أمثلته الدخان الذي ندركه وحده ومع

---

1 - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 55.

ذلك يدل بالنسبة لنا على النار التي لا نراها "[1]، أو مثلا وجود شخص ممد وسط الطريق والدم ينزف من جسده وهو علامة فردية تؤشر قضويا على دهس أحدهم له بالسيارة مثلا أو وجود آثار العجلات في الإسفلت كمؤشر على فرملة عجلات أو وجود آثار الأقدام على الرمل كما في رواية "روبنسون كروسو " **لدانييل ديفو** وهي مؤشر على وجود كائنات بشرية أخرى تعيش في الجزيرة كشخصية (فرايداي) التي سيتعرف عليها روبنسون كروسو لاحقا.

3.2- الرمز:

المسألة مختلفة بعض الشيء بالنسبة لهذا البعد الثالثاني للموضوع من حيث أن الرمز يكون في علاقة بالمؤول ويعتبره بورس "علامة تحيل على الموضوع الذي تعنيه بموجب قانون وفي العادة بموجب تلازمات أفكار عامة تحدد مؤول الرمز بالإحالة على هذا الموضوع- إنه هو ذاته نمط عام أو قانون أي علامة قانون"[2]. فالرمز بهذا التعريف يحتل موقع موضوعه من خلال مؤوله وبالتالي تسحب منه خصائص الدلالة خارج سياق المؤول باعتبار أن المحكم الرئيس هنا هو القانون/العرف اللذين يمتاز بهما هذا المؤول. ونمثل لذلك برفع الراية البيضاء في حالة الحرب والتي تدعو للاستسلام والرغبة في التوقف، أو من خلال تطويع الأنساق الطبيعية التي حولها الإنسان إلى أنساق ثقافية حاملة لدلالة رمزية للعلامة وفق قانون يجعلها تنحل من أولانيتها وتعطَى تأويلا عرفيا مغايرا كدلالة البقر الدينية

---

1 - عبد اللطيف محفوظ، آليات إنتاج النص الروائي، منشورات القلم المغربي، الدار البيضاء الطبعة الأولى، 2006، ص 80.

2- محمد الماكري، الشكل والخطاب: مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء/ بيروت ،الطبعة 1، 1991، ص 51 .

في الثقافة الهندوسية، أو دلالة اللباس مثلا لدى القساوسة ورجال الدين عموما، أو دلالة رموز الانتخابات مثلا.

فالوسط الثقافي هو الذي يمنح للرمز هويته من خلال الاحتكام إلى بناء علاقة مباشرة مع المؤول الذي يتجاوز دلالاته الأيقونية والمؤشرية إلى بناء دلالة رمزية تمتح قوتها من الجانب العرفي كقانون يخضع التأويل لحكمه التجاوزي.

3) المؤول:

يعتبر المؤول بمثابة الوسيط الذي يجلي الضبابية عن العلاقة بين الماثول وموضوعه داخل السيميوزيس من حيث أنه " عمادها وبؤرتها الرئيسة. فهو يشكل التوسط الإلزامي الذي يسمح للماثول بالإحالة على موضوعه وفق شروط معينة. فلا يمكن الحديث عن العلامة إلا من خلال وجود المؤول باعتباره العنصر الذي يجعل الانتقال من الماثول إلى الموضوع أمرا ممكنا "[1].

و هناك ثلاثة أنواع أساسية للمؤول هي:

أ) المؤول المباشر:

و هو الذي يرتبط بالمستوى التقريري السطحي لتأويل علاقة الماثول بموضوعه وبـ" معطيات الموضوع المباشر. وعناصر تأويله ليست سوى ما هو معطى داخل العلامة بشكل مباشر. وما ينتجه من معنى لا يتجاوز حدود التجربة المباشرة التي يتطلبها الإدراك المشترك"[2].

1- سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن، ،الدار البيضاء، 2003 ،ص 67.

2 - المرجع نفسه، ص 69.

فكلمة شجرة مثلا تدرك بكونها إحالة على ذلك النبات الذي له جذور في الأرض وأغصان في شكل معين ولا تحتاج إلى اختلاف على مستوى التأويل لأن الإدراك يتم بطريقة مشتركة في الشكل المبدئي.

ب) المؤول الديناميكي:

في هذا المستوى التأويلي العميق يتجاوز المؤول الديناميكي المؤول المباشر من حيث أنه ينحت علاقة إيحائية في درجات غير محدودة و" ينطلق نحو آفاق جديدة تضع الدلالة داخل سيرورة اللامتناهي... ومن جهة ثانية فإن استحضار المؤول الديناميكي سيحول السيميوز إلى سلسلة لا تنتهي من الإحالات: من علامة إلى علامة ضمن سيرورة تأويلية لا تتوقف عند نقطة بعينها"[1].

ج) المؤول النهائي /المنطقي:

وهو المستوى الذي تسمح به الثالثانية على المستوى المنطقي وتكبح جماح المؤول الديناميكي الفوضوي في التوقف عند دلالة سياقية و" هو الوقع الذي تولده العلامة في الذهن بعد تطور كاف للفكر".[2] إنه نوع من الانفلات من تسيب المعنى وانفلات الدلالة الزئبقي الذي يروم من خلاله المؤول النهائي حصر هذا التسيب وفرملة فوضى التمادي في اللاتناهي.

من ناحية أخرى تجري على المؤول مثله مثل الماثول والموضوع نفس أنواع التفريعات الثلاثية للعلامة إلى أبعاد أو علامات فرعية تأتي كما يلي:

1.3- الحمل/الفدليل:

---

1 - المرجع والصفحة نفسهما .

2 - سعيد بنكراد ، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص 71.

هو بمثابة مصورة أو علامة فرعية تمثيلية لأولانية المؤول التي لا تحتاج إلى موضوع لتدل من حيث أنها علامة " إمكان نوعية ..تفهم كممثل لهذا النوع أو ذاك من المواضيع الممكنة..يمكن للعلامة الحملية أن تمنح بعض المعلومات، ولكنها لا تؤول باعتبارها مانحة لتلك المعلومات" [1].

فخصائص الصورة من حيث أنها علامة تضم ماثولا وموضوعا ومؤولا حمل هذه الخاصية "الحملية" عن الماثول فقط لأنها تشبهه ولا تحتاج إلى بعد قضوي أو برهاني لكي تدل او تعطي دلالة معينة.

2.3- علاقة قضوية:

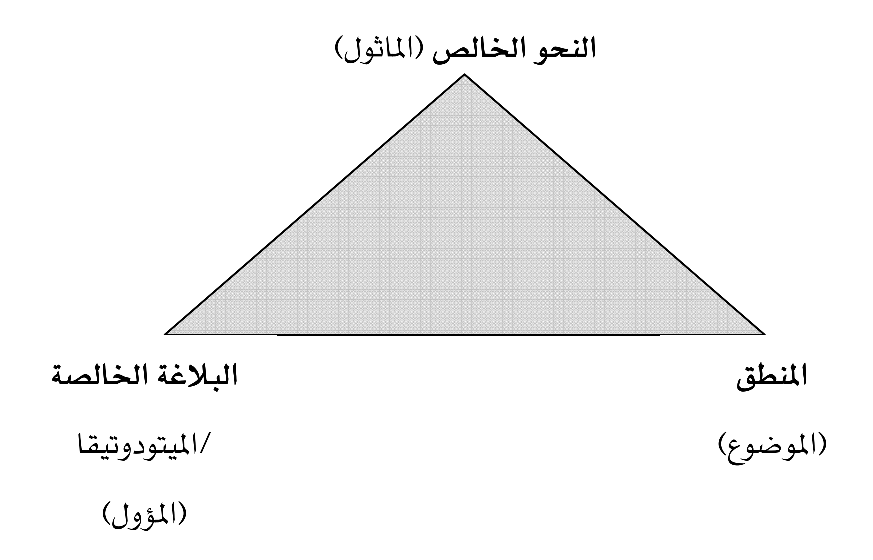
هناك من يسميها بالعلامة التفصيلية من حيث أنها تعطي للموضوع –تأويليا- بعدا وجوديا واقعيا " لا يمكنها أن تكون أيقونا... تتضمن ضرورة كجزء منها علامة خبرية لتصف واقع كونها مؤولة كمشيرة"[2]، ولذلك فهي ترتبط غالبا بخاصية الدليل المفرد المؤشر كحالة الدخان الدالة على النار أو أثر الفرامل على الإسفلت المحيل قضويا على فرملة سيارة ما.

3.3- البرهان/الحجة:

هي بمثابة علامة التجسيد الثالثاني الفرعي للمؤول إذ "تعتبر بالنسبة لمؤولها علامة قانون.. علامة تفهم كممثلة لموضوعها في خاصيته كعلامة"[3]، وهي الكفيلة بدمج علاقة وساطة بين الماثول وموضوعه كرمز من خلال شحن العلامة بخصائص جديدة تنسج وفق علاقة عرفية وتستند إلى قانون .

- محمد الماكري، الشكل والخطاب: مدخل لتحليل ظاهراتي، ص 52. 1
- محمد الماكري، الشكل والخطاب: مدخل لتحليل ظاهراتي، ص 2.52
- المرجع نفسه، والصفحة نفسها . 3

ومقابل التقابلات الثلاثية للعلامة المكونة من الماثول والموضوع والمؤول فإن بورس يجعل السيميوطيقا التي هي " منطق العلامات" تتبنى بدورها وفق ثلاثة فروع:



تتجلى مهمة النحو الخالص في اكتشاف ما يجب أن يكون حقيقيا في الماثول المستعمل من قبل كل فكر علمي حتى يكون قادرا على تلقي دلالة معينة، كما يعني المنطق كفرع ثان للسيميوطيقا العلم الصوري لشروط صدق التمثيلات، أما البلاغة الخالصة فمهمتها اكتشاف القوانين التي بموجبها تولِّد علامةٌ علامةً أخرى في كل فكر علمي حيث يتعلق الأمر هنا بالقوانين التي تنتج فكرة ما فكرة أخرى.

3- 1- هـ) السيميوزيس/السيميوز أو سيرورة التدلال:

لم تؤمن فلسفة بورس الاستمرارية بحدود المعنى وانحساره تأويليا، بل آمنت بأن الدلالة لانهائية والفكر سيرورة في الأشياء واستمرار مبدع فيها أو كما يسميه بورس بالسيميوزيس " انطلاقا من أن الفكر ليس معرفة خارج الموضوع المراد معرفته

(شـيء/طبيعـة) ولكنـه سـيرورة في الأشـياء في تطـور خـلاق معهـا ومـن هنـا الملمـح التعددي لهذه الفلسفة، ومن هنا أيضا فهم بورس للعلامة على أنها ليست شيئا ينبغي فكـه وتفسيره عـن طريق مـؤول .. بـل هـي عنـصر بـانٍ للسيرورة لا يتميـز عنـه المـؤول نفسه وهذه السيرورة أو الطريقة هي السيميوزيس"[1].

و أهـم مـا تتميـز بـه سـيميوطيقا **شـارل سـندرس بـورس** هـو نظرتهـا الثلاثيـة المعقدة للعلامـة كعلاقـة/ كسيرورة اسـتمرارية بـين المـاثول والموضـوع والمـؤول تـبنـي بدورهـا على تفريعات ثلاثية وهـي العلاقات الكفيلة بإنتاج الدلالـة وفـق سـياق معـين، حيـث سـرعان مـا تتغـاير هـذه الدلالـة إذا مـا أخـضعت لـسياق آخـر. هـكـذا تخـضع سيرورة الدلالة اللامتناهية لهذا المنطق الاستمراري المشكل أساسا من تحرر عناصـر العلامة من التأويل النهائي المقيد لحركية المعنى. ولذلك فالعلامات الفرعية تتضامن فيما بينها لأجل إنتاج الدلالـة لأن أي غيـاب لأحـد هـذه العناصـر يقـضي علـى العلامـة وعلى قدرتها على إنتاج دلالة ما.

إلا أن هـذا القـول لا يعـني بتاتـا أنـه يجـب التمـاهي في لانهائيـة التأويـل داخـل سـيرورة التـدلال لأن مـن شـأن ذلـك أن يـسقطنا في مـا سمـاه إيكـو بالمتاهـة الهرمـسية الـتي تختلـف عـن الـسيميوزيس، وذلـك لكـون تـصور بـورس للـسيميوزيس يـستند إلى مبـدأ سـيميائي يقـول بإمكانيـة وجـود إحالـة مـن المحتمـل ألا تتوقـف عنـد حـد بعينـه فعندما يتم التمثيل وتنفلت الدلالة من عقالها فإن أمـر إيقافهـا عنـد حـد بعينـه يـصبح مستحيلا، ومع ذلك تتشكل الدلالة وتبقى العلامة في سيرورة تدلالية مستمرة لتفـرز علامة أخرى وهكذا .

1 - محمد الماكري، الشكل والخطاب: مدخل لتحليل ظاهراتي، ص 52.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————————

إن الـدارس لنظريـة **بـورس** الـسيميوطيقية ليجـد نفـسه في دوامـة فكريـة وفلسفية عميقـة ترجـع جـذورها إلى الأرضيـة الابـستيمية المنطقيـة والتجريبيـة لهـذا الفيلسوف الـذي طـور رؤيـة جديـدة للعلامـة مغـايرة للنـسق الأوربـي، بحيـث أنـه اهـتم بالعلاقة الإدراكية الشائكة والمتمنعة بين الفعـل الإنساني والمعنـى وسـيرورة الدلالـة والتأويل بينهما، في سبيل تقريب المسافة الدلاليـة لتخـوم المعنـى مـن الكـائن البـشري الذي ناور في العقل وخارج العقل لكـي يصل إلى فهم الوجود بمختلف مكنوناته.

فـالتفريع الثلاثـي " البورسـي" لـيس مجـرد قيـاس تجريـدي يقابـل الثنائيـة أو الواحدية التي دعت إليها بعض الفلسفات الـسابقة بقـدر مـا هـو رصـد خـاص لامتـداد العلامة ومحاولة للإحاطة بإحداثياتها من منطلقات ابستيمولوجية منطقيـة ورياضـية وتطورية ساهمت في تقوية تيار فلسفي جديد في أمريكـا هـو الذرائعيـة الاسـتمرارية الواقعية، كتيار ينهض على تصور ظاهراتي لا يرصـد خامـات العقـل الخـالص الـتي نادت بها العقلانية ومن سبقها (**توما الأكويني**) ولكنها وفق بورس تشتغل على مـا هو متجل أمام العقل أو في الوعي ووفق ما هو متصور في مختلف أنواع الوعي .

3- 2- ذرائعية شارل موريس:

بخـلاف مجموعـة مـن الدراسـات الـسيميوطيقية الـتي تعاملـت مـع الـسيمياء كخليط غير متجانس من التيارات المعرفية والفكرية المختلفة خلال فترة مـن الـزمن امتدت إلى بداية السبعينات، فقد ارتبط اسم **شارل موريس** (1901- 1979) كثيرا بالنظريـة الـسيميوطيقية الـتي تـستمد مقوماتهـا وأسـسها الفلـسفية والفكريـة مـن سـيميوطيقا شـارل سـندرس بـورس ونظريتـه البراغماتيـة مـن جهـة، مـن جهـة أخـرى انطلاقا من النظرية السلوكية الأمريكية التي ترجع إلى كلارك هول وتولمان في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وقـد "قبـل البراجمـاتيون... العناصـر الأربعـة الأساسـية

(المــنهج العلمـــي- النزعـــة التجريبيـــة الفلـــسفية- البيولوجيـــا التطوريـــة والمثـــال الديمقراطي)... للبراغماتية الأمريكية وشكلت إطار العمل الذي تناولته... والحلول المقترحة لها والتي على أساسها يتم الحكم عليها. لقد تكون هذا النسيج من تلك الملامح الأربعة مع ما يمكن أن تميز اتجاه تطورها الفلسفي. وقد أثرت هذه العناصر الأربعة على معظم البراغماتيين ولكن بدرجات متفاوتة... عند تشارلز بورس...لدى وليم جيمس" [1] .

فقد اعتبر موريس في كتابه **"العــلامات واللـغة والسلـوك"** "Signs, Language And Behavior" الـصادر سـنة 1946، أن السيميوطيقا دراسة لا زالت في بداية التشكل وغير مكتملة، من حيث أنها لم تستقر بعد على أسس قاعدية صلبة وثابتة، وهي بذلك عرضة للتطور والتغير بحكم الانفتاح الدائم على علوم تصورية ومعرفية أخرى وبحكم تغير نمط العيش والسلوك الثقافي الإنساني بشكل متسارع . وهو بذلك ينتصر كثيرا للمدلول "سيميوطيقا" Semiotic بدل "سيمانطيقا" Semantic من خلال إيجاد أداة/منهج كفيل بتطوير فهمنا لمشاكل الذات الفكرية والثقافية والشخصية والاجتماعية [2] .

لقد انشغل موريس في مشروعه السيموطيقي كثيرا بإيجاد عدة "إيتيمولوجية" لتحليل العلامات والأنساق الدالة من حيث انه يعتبر "المسألة العلامية" ذات أسس طبيعية وتحيل على وظائف اجتماعية قابلة لأن يتم إخضاعها للدراسة وهو يستفيد بذلك من الانجازات التي قدمت في مجال علم النفس وخاصة في التيار

1- تشارلز موريس، رواد الفلسفة الأمريكية، ترجمة د. إبراهيم مصطفى إبراهيم، ص 17 .

2 - G .Hemphill، *The Kenyon Review*,Vol. 9, No. 2, USA, (Spring, 1947), pp. 303.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧———————————

السلوكي الذي تأثر فيه بالسلوكية الغائية مع تولمان ونظرية كلارك هول حول نظرية التعلم وهي في الأصل إنما تطور ملحوظ لأعمال **واطسون** و**بافلوف** أوائل القرن العشرين. فقد سعى موريس من خلال انفتاحه على النظرية السلوكية الخاصة بالحيوانات إلى اعتبار الحيوانات في مستوى رد الفعل مثلها مثل البشر (على الأقل حسب النظرية السلوكية) من حيث أنها علامات وسلوكها يتضمن تمظهرات لسيرورة "علاماتية" وهي السيرورة التي تشكل الإحداثيات الكبرى "للسيميوزيس" البورسي الذي يقابل استعمال الرموز لدى الإنسان.

ولعل هذا الانفتاح على السيميوطيقا والنظرية الفلسفية البورسية قد ساهم بشكل كبير في ترسيخ أسس وقواعد المدرسة الأمريكية في إطار تيارها المسمى بالذرائعية pragmatism الذي يتزعمه **موريس** إضافة إلى **جون ديوي** و**وليم جيمس** وشارل سندرس **بورس،** كفلسفة ترجع في أصولها إلى أمريكا خلال القرن التاسع عشر على يد الفيلسوف وليام جيمس (1842- 1910) والفيلسوف المنطقي شارل سندرس بورس (1839-1914)، وهي الفلسفة " التي أعادت الاعتبار لأهمية "العمل" في السيرورة المعرفية دون إغفال الاكتشافات التي وصلت إليها مختلف الميادين، على حساب السيكولوجيا والسوسيولوجيا والبيولوجيا"[1].

لقد لعب موريس دورا هاما خلال فترة الثلاثينيات من القرن العشرين من حيث قدرته على خلق رابط قوي مع حلقة "**فيينا**" من خلال أعمال رودولف **كارناب**. ومن أهم الكتب التي طبعت مسيرة موريس هناك كتابه الذائع الصيت أسس نظرية العلامات Foundations of the theory of signs الصادر سنة 1938 والذي

---

1 - Susan Petrilli, From Pragmatic philosophy to Behavioural Semiotics: Ch.W.Morris after Ch.S.Peirce, Semiotica, Issue 148, 2004. P 277.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧ ───────────────

يقترح فيه تفريعه الثلاثي للعلامة: " ما يقوم بدور العلامة ويسمى "حامل العلامة" Sign Vehicle، ما تدل عليه العلامة أي " المدلول" designatum"، والأثر الذي يحدث في المتلقي للعلامة، ويسميه موريس نقلا عن بورس "التعبير""[1] interpretant ، وهو الذي يقابل عند بورس "المؤول" Interpreter مستفيدا بذلك من الأثر البورسي (ماثول وموضوع ومؤول)، ومقسما السيميوطيقا إلى جوانب تركيبية وجوانب دلالية ثم الجوانب التداولية وهي التي ترتبط داخلها العلامات بعلاقات مع مؤوليها ومستعمليها، وهذا التمييز استندت فيه التداولية الأمريكية آنذاك إلى الإرث البورسي وإلى الدراسات "السياقية" للغة والتي تمظهرت بشكل ضمني في فلسفة كل من **جون ديوي ولودفيك فتغنشتاين** والسلوكي **إدوارد سابير** وغيرهم.

إن المقاربة التي يقدمها موريس للعلامة تستند إلى التمييز بين العلامات اللسانية وغير-اللسانية ودورها في التأثير في السلوك الإنساني العام من جهة، ومن جهة أخرى تتبنى هذه الرؤية لدى موريس على وصف الدور الذي يلعبه علم العلامات في دراسة اللغة ومقاربتها بما هي نظام اجتماعي من العلامات المتساوقة والمتعارضة أحيانا، ولذلك فالسيميوطيقا تلعب دورا حاسما في نظرية اللغة عموما ليس من جهة المفاهيم كما تسوقها الاتجاهات العقلية ولكن من جهة التصرفات وردود الفعل المرصودة كسلوكيات داخل وضعيات اجتماعية، وبناء عليه يقدم موريس تقسيما إجرائيا بناء على الاستعمال التركيبي والسيمانطيقي/ الدلالي والتداولي.

1- عادل فاخوري، تيارات في السيمياء، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1990، ط 1، ص 71.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧

خاتمة:

لقد قمنا خلال هذا الكتاب بمحاولة لتجميع شتات النظرية السيميائية باتجاهاتها المتفرعة وتقديمها إلى القارئ العربي في صورة مقتضبة، رهاننا الأساس في ذلك تبسيط الحقل السيميائي وتلخيص مضامينه ومكونات اتجاهاته الأوربية والأمريكية، إذ استفاد الدرس السيميائي عامة من مجموعة من مختلف الأبحاث الطلائعية التي اخترقت الحدود الشائكة بين الحقول المعرفية، واجتذبت بالتالي الأسس المعرفية والنظرية المغايرة إلى حظيرة الحقل السيميائي مثرية إياه من جهة، وعاملة على إخراجه من وضعية الباب المسدود أحيانا أخرى، حيث نشير إلى أن تنوع المدارس السيميائية ونهلها المعرفي من خلفيات فلسفية وفكرية ولسانية متباينة، جعل السيميائيات في حد ذاتها مجالا شاسعا وعريضا، حيث يقدم نفسه بديلا لتحليل النصوص على اختلاف أشكالها الخطابية، كما يصعب التطرق إلى كل اتجاهاته بالتفصيل الدقيق.

و لعل ما يهمنا في ختام هذا الكتاب النظري بامتياز، أن نسطر على الأهمية التي اكتسبتها السيميائيات على المستويين الغربي والعربي، حيث أتاحت لمجموعة من النقاد والباحثين العرب أرضية منهجية تروم العمل على "علمنة" الخطاب النقدي، هذا الأخير الذي كانت تياراته ومدارسه السابقة مشتتة ما بين المناهج السياقية ذات الميول الانطباعية والخارج-نصية، وما بين المناهج النسقية، النصانية ذات الميول البنيوية والمدارسة الداخلية والمحايثة للخطاب/للنص. لقد أرخت السيميائيات - كعلم لمقاربة الخطابات الإنسانية – بظلالها على تخوم المعرفة، وسبرت بالتالي عوالم متعمقة من الغياهب المظلمة والسراديب المدلهمة للنص،

✧✧✧✧✧✧✧✧✧

ككيان متمنع على النقاد بتلاوينه الزئبقية والعصي على الدارسين بحربائيته المدوخة.

وعلى ضوء ذلك، ومهما اختلف الباحثون العرب في المصطلحات والمفاهيم التي يطلقونها على السيميائيات ما بين (السيميائيات والسيميوطيقا والعلاماتية والدلائلية .... الخ)، ومهما اختلفوا في كيفية أجرأة المناهج السيميائية وتطبيقها على المستوى العربي، فإن الرهان الأصلي لهذه المجال الواسع يبقى هو الاشتغال في تخوم المعنى والمساعدة في حصر انفلاتات الدلالة، لأن المعرفة الإنسانية (لاسيما في مجال الآداب والعلوم الإنسانية) تتسم بالنسبية، وتخبئ على الدوام جوانب خفية لا يمكن الغوص فيها. ومن ثمة فمقاربة العلامة، تخضع بدورها لمجموعة من الإكراهات، لا أقلها الحقل المعرفي الذي يؤطر هذه العلامة في حد ذاتها، وأجناسية الخطاب الأدبي الذي تعمل السيميائيات على مقاربته.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧

المصادر والمراجع ✧✧✧✧✧✧





المصادر والمراجع

1) مراجع باللغة العربية:

أ)- المصادر والمراجع بالعربية:

1. الأحمر فيصل، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف (الجزائر/ (بيروت) ط 1، 1431هـ/ 2010م.
2. بنكراد سعيد، السيميائيات السردية، مدخل نظري، منشورات الزمن، الرباط، 2001.
3. بنكراد سعيد، شخصيات النص السردي، البناء الثقافي،منشورات جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب،مكناس/المغرب، 1994،
4. بنكراد سعيد، مسالك المعنى دراسة في بعض انساق الثقافة العربية، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، طبعة 1، 2006.
5. بنكراد سعيد، النص السردي: نحو سيميائيات للأيديولوجيا، دار الأمان، الرباط، طبعة1، 2006.
6. بنمالك رشيد، البنية السردية في النظرية السيميائية، دار الحكمة، الجزائر، طبعة 1، 2001.
7. بنمالك رشيد، من المعجميات إلى السيميائيات، دار مجدلاوي، الأردن، ط: 1، 2012.

8. جبار سعيد، التوالد السردي، قراءة في بعض أنساق النص التراثي، جذور، الرباط، 2006.
9. الجزائري محمد، الصلة الخرساء، تصحر الفنون، حضور الذات وغياب المجتمع، كتاب جماعي، العالمية وحوار الذاتيات في الفن، منشورات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2002.
10. حمودة عبد العزيز، المرايا المقعرة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد 272، غشت 2001.
11. الشيباني عبد القادر فهيم، معالم السيميائيات العامة: أسسها ومفاهيمها، سيدي بلعباس، الجزائر، 2008.
12. عاقل حكيم، الخصوصية والعالمية في الفن، كتاب جماعي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط 1.، 2002.
13. عبد العزيز عمر، العصر وفنون الوهم، ندوة العالمية وحوار الذاتيات في الفن، منشورات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2002.
14. العجيمي محمد الناصر، في الخطاب السردي، نظرية كريماس، الدار العربية للكتاب، تونس 1991.
15. عياشي منذر، العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، 2004.
16. فاخوري عادل، تيارات في السيمياء، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1990.
17. الماضي شكري عزيز، أنماط الرواية الجديدة، منشورات عالم المعرفة، الكويت، 355، شتنبر 2008.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧✧

18. الماكري محمد، الشكل والخطاب: مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء/ بيروت ،الطبعة 1، 1991.
19. المالكي عبد الحكيم سليمان، استنطاق النص الروائي، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة 2008، ط 1.
20. محفوظ عبد اللطيف، آليات إنتاج النص الروائي، منشورات القلم المغربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2006.
21. المرابط عبد الواحد، السيمياء العامة وسيمياء الأدب، منشورات مشروع البحث النقدي ونظرية الترجمة، فاس، 2005.
22. معن مشتاق عباس، الشيزوفرينيا الإبداعية، مقاربات نقدية في سيميولوجيا النص، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2008.
23. يوسف أحمد، السيميائيات الواصفة، المركز الثقافي العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005 .
24. يوسف عقيل مهدي، القرين الجمالي في فلسفة الشكل الفني، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، طبعة 1، 2005.

✧✧✧✧✧✧✧✧✧

ب) المراجع المترجمة:

1. إيكو (أومبرتو) التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة 2، 2004 .
2. بارث (رولان)، درس السيميولوجيا، ترجمة عبد السلام بتعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1993.
3. بارث (رولان) لذة النص، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، 1992.
4. دوسوسير فرديناند، علم اللغة العام، ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز، درا آفاق عربية ،1985.
5. داسكال (مارسيلو)، الاتجاهات السميولوجية المعاصرة، ترجمة حميد لحميداني وآخرون، سلسلة البحث السيميائي،دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1987.
6. دولودال (جيرار)، السيميائيات أو نظرية العلامات، ترجمة د. عبد الرحمن بوعلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط:1، 1421هـ/2000.
7. دولوز (جيل)، فلسفة كانط النقدية، تعريب أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة 1.
8. ريكور (بول)، من النص إلى الفعل: أبحاث التأويل، ترجمة محمد برادة/ حسان بورقية، منشورات عين، القاهرة، 2001.
9. شاندلر (دانييل)، معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا)، ترجمة شاكر عبد الحميد، أكاديمية الفنون، القاهرة، 2002.

10.شولز (روبرت)، السيمياء والتأويل، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، طبعة 1، 1994.

11.كوبلي (بول) وجانز (ليتسا)، علم العلامات، ترجمة جمال الجزيري، المجلس الأعلى للثقافة، إصدار 549، القاهرة، طبعة 1، 2005.

12.كورتيس (جوزيف)، سيميائية اللغة، ترجمة جمال حضري المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، طبعة 1، 2010.

13.كورتيس (جوزيف)، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية ترجمة جمال حضري، منشورات الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت/ منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2007.

14.موريس (تشارلز)، رواد الفلسفة الأمريكية، ترجمة د. إبراهيم مصطفى إبراهيم، منشورات شباب الجامعة، الإسكندرية، 1996.

ج) **المقالات والدراسات:**

1. بادي محمد، **سيميائيات مدرسة باريس: المكاسب والمشاريع**، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد 3، المجلد 35، يناير- مارس 2007 .
2. بافيس باتريس، **قضايا السيميولوجيا المسرحية**، ترجمة محمد العماري، مجلة علامات ،مكناس، المغرب، عدد 16، 2001.
3. بنشاوي هشام، **التراث السردي لعبد الفتاح كيليطو**: قراءات جديدة للموروث الثقافي، مجلة الراوي (السعودية) عدد 22، ربيع الأول 1431 هـ/ مارس 2010م.
4. بنكراد سعيد، **الثوب في كل حالاته** مجلة الرافد، منشورات دائرة الثقافة الشارقة، عدد 164، أبريل 2011.
5. بنكراد سعيد، **السيميائيات: النشأة والموضوع**، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد 3، المجلد 35، يناير- مارس 2007 .
6. بنمالك رشيد، **المكون السردي في النظرية السيميائية**، مجلة فيلادلفيا، إصدار جامعة فيلادلفيا، الأردن، عدد 6، 2010.
7. الداهي محمد، **سيميائية الأهواء**، مجلة عالم الفكر، العدد 3، المجلد 35، يناير- مارس 2007 .
8. الدموش محسين، **الصورة الفوتوغرافية بين الدلالة والتدليل**، مجلة فكر ونقد، عدد 57، مارس 2004.
9. روابنية الطاهر، **سيميائية التواصل الفني**، مجلة عالم الفكر، عدد 3 المجلد 35، يناير- مارس، 2007.

10.الزميت بلقاسم، **تشكل المعنى في السيميوطيقا الدلالية لكريماس**، مجلة فكر ونقد، عدد 57، مارس 2004.

11.سحنين علي، **السيميائيات السردية، نظرية كريماس**، مجلة أيقونات (الجزائرية) عدد 3، مايو 2012.

12.الشيباني عبد القادر فهيم، **فلسفة الأشكال الرمزية**، مجلة فيلادلفيا، العدد 4، الأردن، 2009 .

13.الكرافس محمد، **السيميائيات: قراءة في الإرهاصات الأولى والامتداد المعاصر**، مجلة البيان، الكويت، عدد 529، أغسطس 2014.

14.كمال عبد الرحيم، **سيميولوجيا الصورة الفوتوغرافية/ بارث نموذجا**، مجلة علامات، مكناس/ المغرب، عدد 16، 2001.

15.لحميداني حميد، **نحو لاشعور النص أو البشلارية الجديدة**، مجلة دراسات سيميائية، عدد 5، فاس، خريف/ شتاء 1990/1991.

16.الولي محمد، **السيميوطيقا والتواصل**، مجلة علامات، مكناس/المغرب، عدد 16. 2001.

2)- كتب باللغات الأجنبية:

أ) الكتب باللغات الأجنبية:

- Barthes (Roland), Mythologies, Ed Seuil, Paris 1957.
- Bronwen (Martin) And Felizitas (Ringham) ,Dictionary Of Semiotics, Cassel, London ,NY, 1st Published, 2000.
- Coquet (J. Claude), L''école De Paris, Editions Hachette, 1982 .
- Greimas (A.J), Du Sens, Editions Du Seuil, Paris, 1970.
- Greimas (A.J), Sémantique Structurale, Editions Puf, Paris,1986.
- Habib (M.A.R) Modern Literary Criticism And Theory: A History, Blackwell Publishing, Oxford (Uk), Malden (Usa),Victoria (Australia), 2006.
- Krafess (Mohamed), Eugene O''neill''s Philosophy In *Long Day''s Journey Into Night*, Lap Publishing, Saarbrucken ,Germany, 2011.
- Peirce (Charles Sanders), The Collected Papers, Harvard University Press, Cambridge Ma, Electronic Edition.

ب) المقالات والدراسات الأجنبية:

- Alaoui Abdallah Mdarhri, Réflexions Sur Le Maroc Des Heures Françaises De Abdelfatah Lahjomri, Littérature Maghrébine Et Comparée, Casablanca, N 1, 1er Semestre 2005.
- Hemphill G , *The Kenyon Review*, Vol. 9, No. 2 USA, (Spring, 1947(
- Petrilli Susan, From Pragmatic Philosophy To Behavioural Semiotics: Ch.W.Morris After Ch.S.Peirce, Semiotica, Issue 148,USA, 2004 .




تم بحمد الله